Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الانسانية
العدد (100) المجلد (1) حزيران 2024

القِيَمُ الفِكْريَّة والجَمَاليَّة في شِعْرِ المُفَضَّليَّات

Intellectual and Aesthetic Worth in Al-Mufaḍḍaliyat Poetry

م. م. رقية عبد الرزاق أحمد
مديرية تربية صلاح الدين ـ قسم تربية سامراء

أ. م. د. أنوار محمود الصالحي
جامعة سامراء ـ كلية التَّربية

Abstract

This research is one of the studies that begin an aspect of the ambiguous of Arabic poetry before the Islam era, and this research includes the noble and authentic Arab values that our communities have become in necessity of reviving and strengthening, highlighting its aesthetic principles, and the aspects of its artistic and literary creativity, reconsider this poetry's status in our souls, as well as about focus on many of its aspects and creative events, especially in the poetry of Almufathaliat, with its historical, literary and artistic significance, and all of this depends on the choosing of these poems on others.

It is important to mention that such studies prove that the pre-Islamic Arabs' sophistication in morals and elegance in dealing with others, and in return refute the many slanders that characterized the people of this period, their roughness, rudeness and cruelty treatments.

Email:
anwaar.m@uosamarra.edu.iq

Published: 1- 6-2024

Keywords: جماليَّة، والفكر، والفلسفة، والمفضَّليَّات

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

يأتي هذا البحث ليكون واحدًا من الدِّراسات الَّتي تفتح جانبًا من إغلاق الشِّعر العربيّ قبل الإسلام، والبحث عما احتواه من القيم العربية النَّبيلة والأصيلة الَّتي باتت مجتمعاتنا بحاجة ماسَّة إلى إحيائها وتعزيزها، وإبراز جمالياتها، ووجوه إبداعه الفنّيّ والأدبيّ، لتعيد لهذا الشِّعر مكانته في النفوس، فضلاً عن تسليط الضَّوء على كثير من جوانبه وظواهره الإبداعية، ولاسيما في شعر المفضَّليَّات، بما له من قيمة تاريخيَّة وأدبيَّة وفنّيَّة، وهذا كله يقف وراء اختيار هذه القصائد دون غيرها .

ومن الجدير بالذِّكر أنَّ مثل هذه الدِّراسات تثبت ما اتَّسم به العربيُّ قبل الإسلام من رُقيٍّ في الأخلاق ورفعة في التَّعامل مع الآخر، وبالمقابل تفنِّد الافتراءات الكثيرة الَّتي وسمت أهلَ هذا العصر وجفاءهم وغلظتهم وقسوة تعاملهم .

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد الأوَّلين والآخرين سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تعدُّ المفضَّليَّات من البواكير الأُولى للتَّأليف الأدبيّ عند العرب، فحملَتْ لنا جانبًا مهمًّا من الحفاظ على اللغة العربيَّة والشِّعر العربيّ، وحمل لواءه صفوةٌ من الرُّواة العلماء الأفذاذ، فتخيَّروا من الشِّعر ما يمثِّل المرآة العاكسة لطبائع العرب وأخلاقهم، ومجالات تفكيرهم وعمق رؤيتهم إلى الحياة والأشياء من حولهم، وكان من أبرز هؤلاء العلماء المفضَّلُ الضَّبِّيُّ (ت 178هـ) في اختياراته المعروفة بـ (المفضَّليَّات)، وهي من أهمِّ دواوين الشِّعر العربيّ وأقدمها وأوثقها، لأنَّها فتحت الباب للاختيارات من بعدها .

ولأهمِّيَّة هذه المجموعة من النَّاحية التَّاريخيَّة والأدبيَّة والتَّوثيقيَّة واللغويَّة جاء هذا البحث، ليفتح جانبًا من إغلاق الشِّعر العربيّ القديم، والبحث عمَّا احتواه من القيم العربيَّة النَّبيلة والأصيلة الَّتي باتت مجتمعاتنا بحاجة ماسَّة إلى إحيائها وتعزيزها، وإبراز جماليَّاتها ووجوه إبداعها الفنّيّ والأدبيّ، لتعيد لهذا الشِّعر مكانته في النُّفوس، ولتكشف على كثير من جوانبه وظواهره الإبداعيَّة، ولاسيما في شعر المفضَّليَّات، لما له من قيمة تاريخيَّة وأدبيَّة وفنّيَّة، وهذا كله يقف وراء اختيار هذه القصائد دون غيرها .

اقتضت طبيعة البحث أن يكون على مبحثَين، مسبوقَين بتوطئةٍ ومتبوعَين بخاتمة، وعلى النَّحو الآتي :

التَّوطئة : خصَّصْنَاها لـ **(منطلقاتٍ تعريفيَّةٍ)**، فتناولْنا فيها : **(القيمة لغةً واصطلاحًا، والجمال لغةً واصطلاحًا، والقيمة الجماليَّة)** .

المبحث الأوَّل: جعلْناه لـ **(جماليَّة الفعل البطوليّ)**، فتناولْنا فيه عدَّة محاور، وهي : (العفَّة وعدم الغدر بالحليف، والكرامة العربيَّة، واقتحام الوغى وحماية الذِّمار، وسلاح الشِّعر بجانب آلة الحرب، والاعتداد بالكثرة والغلبة، وتصنيف آلة الحرب وأنواعها، ونبذ الحرب ووصفها بالغول، والانتصارات، والتَّغني بأمجاد الآباء) .

المبحث الثَّاني: كان لـ **(جماليَّة القول الحِكْمي)**، فتناولْنا فيه المحاور الآتية : (الحِكْمة في التجربة الإنسانية، والرِّثاء ومواجهة صروف الدَّهر، والكرم والضِّيافة، والموت وعدم الاغترار بالدُّنيا، وحفظ الكرامة والمجد من ضرورات الحياة، وطاعة الله ﷻ والوالدين وحفظ المعروف) .

وانتهى البحث بخاتمة ضمَّت النَّتائج الَّتي توصلْنا إليها .

وممَّا أثرى البحث اعتماده على مجموعة قيِّمة من المصادر والمراجع والبحوث والدِّراسات الَّتي تنوَّعت بين الأدبيَّة والنَّقديَّة والتَّاريخيَّة واللغويَّة، ويقف في مقدمتها كتاب المفضَّليَّات، وهو منطلق البحث وجوهره، ويمكن للقارئ الاطِّلاع على بقيَّتها في نهاية البحث .

وفي الختام فهذا الجهد العلميُّ نقدِّمه خدمة للغتنا العربيَّة، فإن أصبْنَا فبفضل الله ﷻ وتوفيقه، وإن أخطأْنَا فلنا منه أجر الجهد والمحاولة .

توطئة : منطلقاتٌ تعريفيَّةٌ

أولًا: القيمة لغةً واصطلاحًا

وردت الكلمة في المعاجم العربيَّة على النَّحو الآتي:

ذكر الأزهريُّ (ت: 370هـ) أنَّ : (((القَيِّمَ)، هو : المُستَقِيمُ، ...، و(القِيمَةُ) : ثَمَنُ الشَّيءِ بالتَّقوِيمِ، ...، و(الاسْتِقَامَةُ) : اعْتِدَالُ الشَّيءِ واسْتِوَاؤُهُ))[1].

وأورد ابن فارس (ت: 395هـ) : (((قَوَّمْتُ الشَّيءَ تَقوِيمًا)، وأصل (القِيمَةِ) الواو، وأصله : أَنَّكَ تُقِيمُ هذا مَكَانَ ذَاكَ، وبلغنا أنَّ أهلَ مكَّة يقولونَ : (اسْتَقَمْتُ المَتَاعَ)، أي : قَوَّمْتُهُ))[2].

وفي ضوء ذلك يمكن التَّرجيح بأنَّ أقربها إلى الدَّلالة الَّتي نبتغيها هي : تقدير ثمن الشَّيء، أي : قيمتُه المادِّيَّة الَّتي قد ترتفع أو تنخفض بحسب ما يمتلكه من صفات أو خصائص، وكذلك الاعتدال والاستواء والاستقامة .

أمَّا المعنى الاصطلاحيُّ لـ (القيمة) فإنَّها تعني : الميزة أو الخاصيَّة الَّتي بتوافرها تعطي أهمِّيَّةً للشَّيء وتجعله مرغوبًا فيه، وقد تعني قناعته وإيمانه بالأهداف المشروعة أو المقدسة الَّتي تعطيه معايير إطلاق الحكم على الأفعال والأشياء، سواء بحسن أو قبح أو عن طريق الأمر أو النَّهي[3] .

وربَّما انتقلَتْ دلالة هذا المفهوم من الجانب المادِّيّ (السِّعر، أو الثَّمن) إلى الجانب المعنويّ الأخلاقيّ الَّذي يعبِّر فيه عمَّا تحمله الأشياء من خيرٍ أو شرٍّ، فأسهم في بلورة المصطلح .

وفي الفلسفة تُعدُّ القيم جزءًا من منظومة الأخلاق الَّتي يمكن تعريفها : أنَّها مجموعة من المفاهيم والمعاني الخاصَّة بغايات، يسعى إليها الأفراد لأهداف جديرة بالرَّغبة، سواء أكانت هذه الأهداف مطلوبة لذاتها أم لأهداف أبعد منها[4].

وتُعدُّ القيمة ذات أهمِّيَّة كبيرة ومنزلة مهمَّة في حياة الإنسان وسلوكه، فهي من أهمِّ عناصر البناء الاجتماعيِّ والثَّقافيِّ والتُّراثيِّ والفلسفيِّ للمجتمع[5].

ثانيًا : الجمال لغةً واصطلاحًا

يعود أصل هذه الكلمة في المعاجم اللغويَّة إلى الجذر (ج، م، ل)، وأُورِدَت فيه معانٍ متعدِّدة، نجد بينها تقاربًا نذكر منها:

الجمالُ: مصدر الجميل، والفعل منه : (جَمُلَ يَجمُلُ)، قال تعالى: ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ﴾ [سورة النحل، من الآية : ٦]، أي : بهاءٌ وحسنٌ[6].

وذكروا أيضًا أنَّ (((الجَمالَ) : الحُسْنُ، يكون في الفِعلِ والخَلْقِ، و(قد جَمُلَ الرَّجُلُ، بالضَّمِّ، جَمَالًا، فهو جَمِيلٌ وجُمَالٌ)، ...، و(الجُمَّالُ)، بالضَّمِّ والتَّشديد : أَجْمَلُ مِنَ الجَمِيلِ، و(جَمَّلَهُ)، أي : زَيَّنَهُ، و(التَّجَمُّلُ) : تَكَلُّفُ الجَمِيلِ))[7].

والجَمَال ضدُّ القُبحِ، وهو الحُسْنُ والزِّينةُ، ومنه الحديث : (إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ)[8]، أي : حَسَنُ الأَفعالِ وكَامِلُ الأَوصافِ .

أمَّا اصطلاحًا فتعدَّدَت تعريفاته وبحسب مجالاته الفلسفيَّة والأدبيَّة والفنيَّة وغيرها، فقيل: هو أحد المفاهيم الَّتي تنتسب اليه أحكام القيم الجماليَّة وهي الجمل، والحق، والخير، وهو ما يتطابق مع المعايير كالتَّوازن والتَّناغم والكمال[9] .

وقيل فيه: إنَّه ((صفة تروق للشُّعور أو للعقل من خلال الانسجام بين اللون والشَّكل، أو الامتياز والجودة في المهارة الإنسانيَّة والمصداقيَّة والأصالة، أو أي صفة مميزة أخرى، وقد يكون مظهرًا أو صوتًا يثير سرورًا تأمليًّا عظيمًا، أو يسبِّب ميلًا وحبًّا))[10] .

ونجد كثيرًا من الوشائج الَّتي تعبِّرُ عن معنى الجمال في الاصطلاح، فاتفقت هذه الدَّلالات باختلافها وتنوُّعها أنَّ لفظة (الجمال) تحمل دلالات الحسن في الخَلْق والخُلُق، ويكثر معنى الجمال في كتب الأدب والفنون .

فالجمال إحساسٌ داخليٌّ يتولَّد في النَّفس ويعتمد على الذَّوق، وهو شعور يرافق كلَّ شيء ويختلف من شخص لآخر، تبعًا لتأثيره فيه، فالجمال صفة في الأشياء، فيفهم الإنسان الجمال بوساطة مشاعره ويدركه في أحاسيسه[11].

إنَّ الجماليَّة مشتقَّة من الجمال، والحديث عنها منضوٍ تحت الجمال، فهو علم يختصُّ به كلُّ جميل، والإحساس بالجمال موجود مع شعور البدائيّ والحضريّ، وموجود في كلِّ مكان ونَفْسٍ، وفى كلِّ شيء يحسُّ ويدرك من جميع الموجودات والمخلوقات، ويرسم المناظر في وحي الخيال وإلهامه في ضغوط الحياة، فيظلُّ إحساسه جميلًا بالمقاييس المرتبطة بالجمال، لكنَّه يهفو إليه وينشده ويجد اللذة فيه، ويتذوَّقه العقل البشريُّ والرُّوح والوجدان .

الجمال سمة بارزة في خَلْقِ الله ﷻ، وهذا يقترب من المعنى الصُّوفيّ له، وحيثما اتَّجه الإنسان ببصره يجد من صنع الله ما يجذبه بلونه، أو يستهويه بصوته، أو يتملك فؤاده بدقَّته المتناهية وصنعته المحكمة، فالجمال بعض آيات الله، الَّتي أودعها في خلقه، وطلب الإنسان أن ينظر فيه ويستجلى أسراره، ويستقبل تأثيراته .

القيمة الجماليَّة:

وهي مصطلح فلسفيٌّ يتأرجح بين الماديّ والملموس وبين الغموض والوضوح، وتظهر في عناصر العمل الفنِّيّ، مثل : الخطوط والألوان والضَّوء والظِّلّ وغيرها من القيم[12].

إنَّ الجماليَّة مصدر صناعيٌّ من كلمة (جَمَال)، لما يخص النَّواحي الجماليَّة، ((وبما أنَّ الجميل لا يمكن استخراجه إلَّا بالمعايير والإجراءات المنهجيَّة، فإنَّ الجماليَّة من أولويَّات التَّقدير والحكم على الجميل، بمعنى أنَّها الجهة الَّتي من خلالها يترتَّب ويتناسق الجميل ثم يتمُّ رصده داخل العمل الإبداعيّ))[13].

تُعنى الدِّراسة الجماليَّة بالقيمة والعناصر الَّتي تكسب العمل جمالًا فنِّيًّا[14]، لأنَّ القيمة الجماليَّة ((نتاج فيض المقدرة الإبداعيَّة عند الفنان، بينما تبقى القيم الأخرى عبارة عن مجموعة من الموازين الَّتي وضعت لتنظيم السُّلوك العادي للإنسان))[15].

لذلك تجد أنَّ القيمة الجماليَّة تكمن في المُثُل والمبادئ الَّتي تُقوِّم السلوك الجمالي وتُوجِّهه، ويمكن تحديدها عن طريق تحديد السُّلوك الجماليّ وتحليل موقفه[16]، وتتجسَّد القيمة الجماليَّة في اهتمام الإنسان وميله نحو كلِّ ما هو جميل، سواء أكان جماله خارجيًّا أم داخليًّا[17].

وإذا أردنا أن ندرس القيم الجماليَّة في شعر المفضَّليَّات وآراء النُّقاد وإطلاقهم الأحكام فيها فتجب الإشارة إلى أنَّ القدماء قسَّموا الشِّعر إلى جيِّدٍ ورديء، وأَعْلَوا من مكانة شاعر ووَضَعوا أو حَطُّوا من قدر شاعر آخر، وذلك من تقييمهم لهذا الشِّعر أو ذاك، وهذا يعني، كما يقول يوسف سامي: ((أنَّ الذِّهن دائمًا يحتضن سؤال القيمة، كي لا يتساوى الخسيس والنَّفيس، أو الوضيع والرَّفيع، أو لنقل كي لا يتساوى الَّذين يعملون وغيرهم ممَّن يجهلون، إذ الاهتمام بالقيمة هو آية بيِّنة على أنَّ الحياة ما برحت عالية أو مصرَّة على الاتِّجاه نحو الأعلى))[18] .

ونخلص ممَّا تقدَّم أنَّ مفهوم القيمة لا يعدو كونه يتمحوَّر في الأوجه الآتية[19]:

أولًا: إنَّ القيمة منفعة وفائدة، والشيء القيّم هو الشيء المفيد والنافع .

ثانيًا : إنَّ القيمة هي الاهتمام، والشَّيء القيِّم هو : الشَّيء المهتمُّ به .

ثالثًا : إنَّ نظام القِيم متأصِّل في طبيعة الإنسان، والإنسان يندفع بالطَّبيعة لتحقيقه في الواقع، إذًا فهو في التَّقويم يحوّله من القوّة إلى الفعل وإلى الوجود الماديّ .

رابعًا : القيمة هي علم السُّلوك التَّفضيليّ، فالإنسان يبحث دائمًا عن الأفضل، أو بتعبير آخر أنَّ القيمة هي طراز الشُّروع المفضَّل في ميادين الحياة المختلفة .

خامسًا : القيمة هي الأفكار الاعتقاديَّة والانفعاليَّة النَّفسيَّة المتعلِّقة بفائدة الأشياء في حياة المجتمع .

وعليه يمكن القول إنَّنا سعينا في منهج العمل بهذا البحث أن يتَّسق مع كلِّ ما عرضناه من أوجه مفهوم القيمة .

المبحث الأول: جماليَّة الفعل البطوليّ

يعدُّ البعدُ الجماليُّ الأبرز في عصر ما قبل الإسلام، إذ تدفَّقت بطولة العربيّ في أسلوبه وحسِّه وخُلقه، حتَّى ظهرَتْ بصور شعريَّة وبيانيَّة، فخلَّد الأبطال شجاعتهم في المعارك وحسن خلقهم ومروءتهم، حتَّى أصبح لهم السِّيادة على أقوامهم في أوقات السِّلم، ويقودوهم في أوقات الحرب، فلا يُعصى لهم أمر، لعظم مكانتهم .

للبطولة في حياة العربيّ أهميَّة كبرى، فهي بطولة واقعيَّة، بطولة يرتفع فيها صاحبها عن الأشخاص العاديّين من حوله بقوَّته وبسالته وإقدامه وجرأته وتغلبه على أقرانه، فتتفجَّر بطولته من وجوده الإنسانيّ البشريّ لا من ينابيع إلهيَّة أو سحريَّة غيبيَّة، فهي بطولة إنسانيَّة لا تتَّشح بقوى خفيَّة، بل تستند إلى قوَّة الجسد والبأس الشَّديد، إلى درع وسيف ورمح وخيل وغيرها، وكلّها أدوات من الواقع تبثُّ في أحضان الصَّحراء[20].

فالحدث البطوليُّ هو البعد الجمالي الأكثر بروزًا في العصر الجاهليّ، إذ تدفَّقت بطولة العربيّ في أسلوبه وحسِّه تدفقًا عميقًا، حتَّى ظهرت بصورة شعريَّة وبيانيَّة، فخلَّد الأبطال شجاعتهم في المعارك، واجتمعت عندهم الشَّجاعة والحكمة وسداد الرَّأي وحسن التَّدبير، فلكثير من هؤلاء الأبطال السِّيادة على أقوامهم في أوقات السِّلم، ويقودونهم في أوقات الحرب، فلا يُعصى لهم أمر لعِظم مكانتهم[21].

وللحدث البطوليّ علاقة عميقة بالمجتمع وثقافته، فبهذه العلاقة تتشكَّل القيمة الجماليَّة للبطولة، فهي علاقة بين البطل والجماهير، تتوثَّق أواصرها كلَّما اهتدى البطل إلى كوامن هذه العلاقة، وأدرك أسرارها واستطاع ببراعته ودهائه الوصول إلى الآمال الَّتي تحقِّق لهذه الجماهير ثقتها به[22]، ((ولم يقف العرب قديمًا ببطولتهم عند جانبها الحربيّ، فقد اتَّسعوا بمعناها حتَّى شملت البطولة النَّفسيَّة، وهي بطولة

أدَّت إلى كثير من الشَّمائل الرَّفيعة، ...، ومن هنا نحسُّ أنَّه كان يسعى في قوَّته إلى طائفة من المُثُل الخُلُقيَّة العُليا، ...، فتصبح واجبات اجتماعيَّة وبطوليَّة))[23].

إذًا فالبطولة العربيَّة بطولة حربيَّة وخُلُقيَّة، لذا فهي قيمة جماليَّة مركَّبة من اتِّحاد قيمة الجمال وقيمة الرَّائع الجليل[24]، وحينما ينجح الشَّاعر في تحقيق هذا الاتِّحاد بين الجمالي والأخلاقيّ في تشكيل فنِّيٍّ جميل، فإنَّه يحقّق لمثاله الفنِّيّ القدرة على التَّغلغل في وعي الجماعة، وينجح في الوقت نفسه في جعل وظائف الفنِّ الثَّانويَّة داخلة في صميم الوظيفة الفنيَّة، وهنا يصبح النَّفع والإمتاع الفنِّيُّ شيئًا واحدًا في تفاعل العناصر الدَّاخلة في التَّشكيل[25].

ونستخلص من ذلك كلِّه أنَّ البطولة نسيج من قيم إنسانيَّة سامية، تمثِّل الاستجابة المثلى لاحتياجات وجود الإنسان الجوهريَّة للتَّوافق بين الذَّات والعالم، وهي بوصفها قيمًا ليس لها وجود أو تعبير إلاَّ بالفعل الإنسانيّ الملموس في أشكاله المختلفة المتأثِّرة بطبيعة ظروفه المكانيَّة والزَّمانيَّة، فتنتقل القيمة من التَّجريد إلى الحسِّيَّة، وينتقل الإنسان إلى آفاق الفعل البطوليّ المؤثِّر، على أنَّ تحقيق الإنسان للقيمة البطوليَّة يتطلَّب توافر مجموعة من الشُّروط ينتفي بدونها المعنى البطوليّ للفعل، وهذه الشُّروط هي : الموهبة، والقدرة الجسديَّة والنَّفسيَّة والخُلُقيَّة، والوعي بالحاجات الإنسانيَّة، والاستجابة لها بصورة فعليَّة عميقة بدافع من إيمان عميق بالقيم الأخلاقيَّة العليا لمجتمعه، وبالتَّعبير عنها بالشَّكل الأمثل[26] .

كانت البطولةُ الموصوفة بالغلبة والانتصار العضلي وتخليدهما أحاديثَ الشُّعراء الَّتي تتوارثها الأجيال، وتستحسنها وتميل لها، ((ولا غرابة أن يدرك الفرد الجاهليُّ مع ذاته أو مجموعة الأفراد الَّذين يعاشرهم تلك الأسس، ويهتف بها في شعره، مؤمنًا أنَّ رسالة الشِّعر في هذا المجال تعليميَّة تهذيبيَّة، مدركًا أنَّ العقل الإنسانيَّ يفهم مضمون الشِّعر بشغف وبتلهُّف لكلِّ ما تسمعه أذنه بوعي وإرادة، فكانت وسيلتهم خلال تلك الفترة هي التَّرديد والوعظ والإرشاد والإشادة بحميد الصِّفات، والحثّ عليها في شكل الحكمة المؤدِّية لغرضها، الدَّاعية إلى الالتزام أو الهجر حسب مقتضى ظروف ما يقال))[27].

وحفلت المفضَّليَّات بالكثير من صور البطولة الَّتي سطَّر فيها الشُّعراء أروع قيم البطولة في جانبيها الحربي والخُلقي، وهي :

أ- العفَّة وعدم الغَدْر بالحَليف :

تعدُّ العفَّة من القيم الخُلُقيَّة السَّامية الَّتي حرص العربيُّ على التَّحلِّي بها في الأقوال والأفعال، لأنَّها ترتبط بنقاء الإنسان وصفائه الدَّاخليَّين، وهي دليل ترفعه عن الدَّنايا، ودليل على رقيِّ المجتمع أخلاقيًّا في حفظه ومراعاته كرامة الإنسان .

من ذلك قول الحَادِرَةِ : (الكامل)

إِنَّا نَعِفُّ فَلَا نُرِيبُ حَلِيفَنَا ونَكُفُّ شُحَّ نُفُوسِنَا فِي المَطْمَعِ
ونَقِي بِآمِنِ مَالِنَا أَحْسَابَنَا ونُجِرُّ فِي الهَيْجَا الرِّمَاحَ ونَدَّعِي
ونَخُوضُ غَمْرَةَ كُلِّ يَومٍ كَرِيهَةٍ تُرْدِى النُّفُوسَ وغُنْمُهَا لِلأَشْجَعِ
ونُقِيمُ فِي دَارِ الحِفَاظِ بُيُوتَنَا زَمَنًا ويَظْعَنُ غَيْرُنَا لِلأَمْرَعِ
ومَحَلِّ مَجْدٍ لَا يُسَرِّحُ أَهْلُهُ يَومَ الإِقَامَةِ وَالحُلُولِ لِمَرْتَعِ[28]

يبدأ الشَّاعر أبياته مفتخرًا ببطولته وبطولة قومه، ليجعلها المرتكز والمنطلق في استعراض البطولة والقوَّة والسِّيادة، ويتحدَّث عن بطولة النَّفس والشَّجاعة الأبيَّة الَّتي تَعفُّ عن الحليف ولا تطمع، وتذمُّ البخل، وتتقي الأحساب والأنساب بأموالها وأمانها، مؤكِّدًا التَّخلق بخُلُق الأوفياء النُّبلاء، فهو ينفي صفة الغدر عن نفسه وأهله (إنَّا نَعِفُّ)، فيحمل العَفَاف هنا صفة الطَّهارة والنَّقاء .

ولا يغدر الشَّاعر وقومه بالحليف ولا يأتيه منهم ريبة، فصوَّر الحَادِرةُ لمحبوبته اكتساب قومه المحامد والخصال الَّتي امتلكتها نفوسهم، وجعلتهم لا يبخلون في المبادرة باستعمال هذه الصِّفات في إعانة المحتاج إليها، وكأنَّه وقومه اكتسبوا خصال النَّقاء والعفاف بامتلاك هذه الخصال الحميدة .

وتؤكِّد هذه الخصال الَّتي هي خُلُق الرُّجولة والبطولة الصَّادقة الَّتي يسكبها الحادرة أنغامًا عِذابًا في أسماع صاحبته، فيؤكد لها إنْ أصاب حليفنا ضعفٌ وسنحت لنا الفرصة أن نعتدي عليه ونسلب ما معه لا نفعل ذلك ولا نغدر به، بل نكفُّ بما يجيش في نفوسنا من الطَّمع ونظلُّ على الوفاء معه[29].

ثمَّ يستعرض شاعرنا البطولة الحربيَّة وقيمها، فهم يخوضون الحروب الكريهة والأمور الشَّديدة الَّتي يُحاذر منها النَّاس، إلَّا أنَّهم قادرون على تحمُّلها وخوض غمارها .

وزاد الشَّاعر من جماليَّة الفعل البطوليّ الحربيّ تلك الصُّورة التَّشبيهيَّة الرَّائعة الَّتي أكَّدت المعنى، إذ جعل الشَّدائد تبتلع النُّفوس ابتلاع الماء أو البحر الغامر العظيم لما يحيط به، ((وجاءت عبارة (تُرْدِي النُّفُوس) لتؤكِّد ذلك المعنى وتثبت قوَّته، فهي كريهة تدمِّر وتهلك وتطحن الأقوام، هذه الكريهة الَّتي هي منبع الدَّمار والهلاك والموت يخوضها الحادرة وقبيلته في إقدام وشجاعة دون خوف منها ويظفرون بالغنيمة))[30]، فتكون الغنائم للشُّجاع القويّ المنتصر الَّذي لا يأبه الحرب وشدَّتها، وفوق هذا وذاك فهم لا يبرحون منازلهم حتَّى وإن كانت حياتهم تفتقر إلى الخصب والنَّماء، ذلك كلُّه لتأكيد الثَّبات في المنازلة وتحقيق الغلبة والتَّمكين .

وهنا أيضًا قيمة جماليَّة أوحى بها الشَّاعر في فعله البطوليّ، وهي إبراز صورة الحرب الكريهة وما فيها من خراب ودمار وهلاك، ولكنَّه على الرَّغم من ذلك يخوضها دفاعًا عن قبيلته وقيمها مضطرًا في سبيل هذه الغاية.

وفي البطولة أيضًا يقول أبو ذُؤَيب الهُذَليُّ : (الكامل)

حَمِيَتْ عَلَيهِ الدِّرْعُ حَتَّى وَجْهُهُ ... مِنْ حَرِّهَا يَومَ الكَرِيهَةِ أَسْفَعُ
تَعْدُو بِهِ خَوصَاءُ يَفْصِمُ جَرْيُهَا ... حَلَقَ الرِّحَالَةِ فَهْيَ رِخْوٌ تَمْزَعُ
قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشُرِّجَ لَحْمُهَا ... بِالنَّيِّ فَهْيَ تَئُوخُ فِيهَا الإِصْبَعُ[31]

يُظهر الشَّاعر القيمة الجماليَّة للفعل البطوليّ بوصف وجهه حينما يصبح أسود بفعل حرارة الدِّرع وشدَّة أجواء تلك المعركة (يَومَ الكَرِيهَةِ)، فالسُّفْعَة : لون سَوَادٍ مُشْرَبٌ حُمْرَةً[32]، ومبرزًا فيه شجاعته وبطولته، ومصوِّرًا اسوداد لونه وتغيُّره نتيجة بقائه في ميادين القتال، وشدَّة ما يلاقيه من دمار وقتل، مؤكِّدًا تلك الشَّجاعة والبطولة في فاعليَّة الوجود اللونيّ، وهو يعدو على فرسه الغائرة العينيين في سرعة شديدة فتكسَّر معها حلق السَّرج وهي مسترسلة رخوة تمرُّ مرورًا سريعًا، وحين يذكر قصر الصَّبوح فإنَّه أراد حبس لبنها، ليسقيها فسمنت واختلط لحمها بشحمها في صلابة وشدَّة .

تورث عفَّة النَّفس الإنسان الحلم والرِّفق ولين الجانب، حتَّى لو طلب الإنسان نوال الآخرين فلا ينبغي له أن يتساقط أمامهم ذلَّة ومهانة، فيكفي أن ينال نوالهم بترفُّع وإباء، فلا عفَّة مع الضَّعة أو ذلِّ النَّفس[33]، ويشتمل قول الحارث بن ظالم على ذلك : (الوافر)

وَإِنِّي يَومَ غَمْرَةَ غَيْرَ فَخْرٍ ... تَرَكْتُ النَّهْبَ والأَسْرَى الرِّغَابَا
فَلَسْتُ بِشَاتِمٍ أَبَدًا قُرَيْشًا ... مُصِيبًا رَغْمُ ذَلِكَ مَنْ أَصَابَا
فَمَا قَومِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ ... وَلَا بِفَزَارَةَ الشُّعْرَى رِقَابَا
وقَومِي، إِنْ سَأَلْتِ، بَنُو لُؤَيٍّ ... بِمَكَّةَ عَلَّمُوا النَّاسَ الضِّرَابَا[34]

يستعرض الشَّاعر يومًا من أيَّام العرب، وهو (يَوم غَمْرَةَ)، فيفتخر به وبفروسيَّته فيه، إذ ترفَّعت نفسه عن النَّهب والأسرى والقول الفاحش والشَّتم، وهذا دليل على سُمُوِّ الشَّاعر وعدم تدنيه لمثل هذا الفعل، وهو في ذلك يفخر بنسبه إلى بني لُؤَيّ الَّذين علَّموا النَّاس بمكَّة كيف يقاتلون، لا من أولئك القوم الَّذين عدَّهم في المرتبة الأدنى، مثل ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ وفَزَارَةَ .

تتمثَّل القيمة الجماليَّة في النَّصِّ السَّابق أنَّها تدلُّ على عفَّة النَّفس وعزَّتها، فضلًا عن الاعتداد بالقبيلة وإبراز مكانتها، حتَّى وان كانت أمام قريش القبيلة المعروفة، وكلُّ ذلك يعدُّ من البطولات النَّفسيَّة الأخلاقيَّة .

ومن ذلك أيضًا قول الحُصَينِ بْنِ الحُمَامِ المُرِّيّ : (الطَّويل)

ونَحْـنُ بَنُـو سَـهْمِ بـنِ مُـرَّةَ لـم نَجِـدْ لَنَـا نَسَـبًا عَـنْهُمْ وَلاَ مُتَنَسَّـبَا
مَتَـى نَنْتَسِـبْ تَلْقَـوا أَبَانَـا أَبَـاكُمُ وَلَـنْ تَجِـدُونَا لِلفَـوَاحِشِ أَقْرَبَـا
وَلَمَّـا رَأَيْـتُ الصَّـبْرَ لَـيْسَ بنَـافِعِي وَأَن كَـانَ يَومًـا ذَا كَوَاكِـبَ أَشْـهَبَا
شَـدَدْنَا عَلَـيْهِمْ ثَـمَّ بِـالجَوِّ شَـدَّةً فَـلاَ لَكُـمُ أُمًّـا دَعَونَـا وَلَا أَبَـا
بِكُـلِّ رُقَـاقِ الشَّـفْرَتَينِ مُهَنَّـدٍ وَأَسْـمَرَ عَـرَّاصِ المَهَـزَّةِ أَرْقَبَـا
فَمَـا فَزِعُـوا إِذْ خَـالَطَ القَـومُ أَهْلَهُـمْ وَلَكِـنْ رَأَوا صِـرْفًا مِـنَ المَـوتِ أَصْـهَبَا
وَلَا غِـرْوَ إِلاَّ حِـينَ جَـاءَتْ مُحَـارِبٌ إِلَيْنَـا بِـأَلْفٍ حَـارِدٍ قَـدْ تَكَتَّبَـا
مَـوَالِيَ مَوَالِينَـا لِيَسْـبُوا نِسَـاءَنَا أَثَعْلَـبَ قَـدْ جِئْـتُمْ بِنَكْـرَاءَ ثَعْلَبَـا[35]

تظهر قيمة الفعل البطوليّ للشَّاعر الحُصَينِ بْنِ الحُمَام حين أراد أن يحقن دماء قبيلة بني صَرْمة حين حدث نزاع بينهم وبين قبيلة أخرى، لكنَّ بَنِي صَرْمة أَبَوا، فدارَتْ معركة بمكان بين قبيلة الشَّاعر (بني سَهم) وبني صَرْمَة، فظفر الشَّاعر بهم وهزمهم مرَّتين، ففخر بنفسه وقبيلته وأنَّهم أصحاب شرف لا يقربون الفواحش ولا يحبذون القتال إلَّا إذا نفذ صبرهم، وهو بذلك يشيد بسيفه المهند وهم يفضِّلون حقن الدِّماء بدلًا من إراقتها، لولا هؤلاء الحلفاء الَّذين جاءوا بالآف المحاربين.

وفي منحى الفخر أيضًا للشَّاعر عَامر المُحَاربيّ الخَصَفِيّ دَلْوُهُ في ذلك فيقول: (الطَّويل)

أُولئِـكَ قَـوْمِي إِنْ يَلُـذْ بِبُيُـوتِهِمْ أَخُـو حَـدَثٍ يومًـا فلَـنْ يُتَهَضَّـما
وكَـمْ فِـيهِمُ مِـن سَـيِّدٍ ذي مَهابَـةٍ يُهَـابُ إِذا مـا رائِـدُ الحَـرْبِ أَضْـرَمَا
لنَـا العِـزَّةُ القَعْسَـاءُ نُخْـتَطِمِ العِـدَى بِهـا ثُـمَّ نَسْتَعْصِـي بِهـا أَن نُخَطَّمَـا
هُـمُ يَطِـدُونَ الأرض لـولاهم أرْتمَـتْ بِمَـنْ فَوْقَهـا مِـنْ ذي بيـانٍ وأَعْجَمَـا
وهُـمْ يَـدْعَمُونَ القـومَ فـي كـلِّ مَـوْطِنٍ بِكـلِّ خَطِيـبٍ يَتْـرُكُ القـومَ كُظَّمَـا
يَقُـومُ فـلاَ يَعْيـا الكـلاَمَ خَطِيبُنَـا إِذا الكَـرْبُ أَنْسَـى الجِـبْسَ أَنْ يَتكلَّمَـا
وكنَّـا نُجُومًـا كُلَّمَـا أَنْقَـضَّ كَوْكَـبٌ بـدا زاهِـر مِـنهن لـيسَ بأَقْتَمَـا[36]

وفي مجال الفخر تتجلَّى عند الشَّاعر في أبيات متلاصقة جماليات القيم للأفعال البطوليَّة الَّتي تتجسد فيهم، مشيرًا ومشيدًا بقومه (أُولَئِكَ قَومِي)، فَهُمُ الملجأ والحماية اللذان يحتمي بهما من مصائب الدَّهر، وفيهم الهيبة والعزَّة والقوَّة إذا اضْرِمَتْ نار الحرب، وفيهم السَّيطرة والثَّبات والعزَّة الَّتي لا تتزعزع، فهم أصحاب فصاحة وبلاغة وقوَّة لسان، إذا تكلَّموا اسكتوا غيرهم، وهم نجوم لامعة في العلوّ والرِّفعة والبريق في مكانتهم وفعالهم البطوليَّة، وإذا ما مات نجمٌ لمع نجمٌ آخر منهم، مشرقٌ ساطع ليس مظلمًا، فرسم لهم

الشَّاعر هذه الصُّورة اللونيَّة الَّتي تعجُّ إشراقًا وضياءً، نافيًا عنهم الظُّلمة الَّتي توحي بالفعال الذَّميمة كلِّها، وموظِّفًا الطَّاقات التَّعبيرية لهذه التَّشكيلات اللونيَّة .

ب-الكرامة العربيَّة :

إنَّ كرامة العربيّ فوق كلِّ اعتبار، فإذا ما ثُلِمَت فالموت عنده أهون، وهو في ذلك يثور ويشتري الموت ثمنًا لعزَّته وكرامته، يقول الحُصَينُ بْنُ الحُمَامِ المُرِّيُّ : (الطَّويل)

فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الحَيَاةِ بِسُبَّةٍ	وَلَا مُبْتَغٍ مِن رَهْبَةِ المَوتِ سُلَّمَا
وَلَكِنْ خُذُونِي أَيَّ يَومٍ قَدَرْتُمُ	عَلَيَّ فَحُزُّوا الرَّأْسَ أَنْ أَتَكَلَّمَا
بِآيَةِ أَنِّي قَدْ فَجَعْتُ بِفَارِسٍ	إِذَا عَرَّدَ الأَقْوَامُ أَقْدَمَ مُعْلِمَا[37]

فالاعتداد بالنَّفس سمة واضحة عند الشَّاعر، وهي تعكس بلا ريبَ الصُّورة النَّمطيَّة الَّتي كانت عليها أحياءُ العرب، فالموت والحياة سيَّان عند العربيّ، فيما إذا كانت كرامته محفوظة، وإلاَّ فالموت هي الخيار الأفضل حينما تُثْلَم كرامته لسبب من الأسباب، وهو في الوقت نفسه يشعر بالفخر على الصَّعيد الفرديّ والقبليّ، فهو المنافح عن قبيلته والمحافظ على سجلِّها الحربيّ الخالي من الغمز واللمز، فالحُصَينُ بْنُ الحُمَامِ يظهر لنا تمسُّكه بشرف الحياة، إذ لا يبيع نفسه أمام سُبَّة في الحياة، ولا يريد سُلَّمًا يطلع عليه، ليزول الخوف من قلبه تجاه الموت، ويطلب من قومه أن يأخذوه كلَّ يوم إلى الحرب، ويروا ما هو فاعل، فقد كان الفارس الَّذي لا يتحدَّث عند شدَّة الحرب ولا انتصابها، بل هو المُعْلِم الَّذي يحتذي به الفرسانُ كافَّة .

ت-اقتحام الوغى وحماية الذِّمار :

ويُظهر المُزَرِّدُ بنُ ضِرَارٍ جماليَّة فعله البطوليّ في تصدُّره لحماية الذِّمار وملاقاة العدو البطل، فيقول : (الطَّويل)

فَمَن يَكُ مِغْزَالَ اليَدَينِ مَكَانُهُ	إِذَا كَشَرَتْ عَن نَابِهَا الحَرْبُ خَامِلُ
فَقَدْ عَلِمَتْ فِتْيَانُ ذُبْيَانَ أَنَّنِي	أَنَا الفَارِسُ الحَامِي الذِّمَارَ المُقَاتِلُ
وَأَنِّي أَرُدُّ الكَبْشَ والكَبْشُ جَامِحٌ	وَأَرْجَعُ رُمْحِي وَهْوَ رَيَّانُ نَاهِلُ
وَعِنْدِي إِذَا الحَرْبُ العَوَانُ تَلَقَّحَتْ	وَأَبْدَتْ هَوَادِيهَا الخُطُوبُ الزَّلَازِلُ[38]

تضمَّن البيتان الأوَّل والرَّابع نوعًا من الاستعارة الَّتي استعان بها الشَّاعر، والاستعارة هي تشبيه حُذِفَ أحدُ طرفَيهِ، فيفخر بنفسه وأعماله البطوليَّة، ويصوِّر نفسه البطل الفارس (فَارِسَ ذُبْيَانَ) الَّذي لا فارس سواه في الشَّجاعة والإقدام، الحامي الذِّمار من الأهل والحمى، ففي القصيدة أكثر من صورة بلاغيَّة،

ولاسيَّما البيتان الأوَّل والرَّابع، فضلًا عن القيم الجماليَّة للفعل البطوليّ، وأثر التَّكرار اللفظيّ في بيان القيمة الجماليَّة للفعل البطوليّ .

استعمل الشَّاعر الاستعارة المكنيَّة (كَشَرَتْ عَن نَابِهَا الحَرْبُ)، والمعلوم أنَّ هذه الصُّورة ترتبط ببعض أجزاء الكائن الحيّ، كالإنسان مثلًا، الَّذي يُضرَب به المثل حينما يهمُّ بنيَّة سوء، فهي استعارة ودرس بليغان وتحذيرٌ خطيرٌ لمن يدخل الحرب بلا استعداد لحمل السِّلاح .

وفي البيت الرَّابع (الحَرْبُ العَوَانُ تَلَقَّحتْ)، فالتَّلقيح كنايةٌ عن استعار الحرب وتلاقحها جرَّاء عوامل كثيرة، فهي، والحال هذه، ستؤدِّي إلى نتائج كارثيَّة في كثرة الخطوب والمصائب والأهوال.

وفي التَّكرار اللفظيُّ (الكَبْشُ... الكَبْشُ) لوحة خياليَّة لبطلَين، بطل الخصم جامح همُّهُ الانقضاض على الآخر، غير أنَّ شاعرنا، وهو المستعدُّ بثباتٍ ورباطة جأش، يتصدَّى للجامح بكلِّ عزيمة وإصرار، ويرتوي رمحه من دمه مذبوحًا صريعًا.

وتكرار آخر يتمثَّل في الضَّمائر (أَنَّنِي، وأَنَا، وَأَنِّي، وعِنْدِي) فهي تأكيد الذَّات وفعلها البطوليّ في مثل هكذا منازلات .

وترجع البطولة إلى غرائز أخرى لوَّنت جوانب كبيرة من الصُّورة العربيَّة، منها الفدائيَّة من أجل حماية القبيلة والأعراض وسائر الحرمات، وقال ضَمْرَةُ بْنُ ضَمْرَةَ النَّهشَلِيُّ : (الطَّويل)

وَمَا أَنَا بِالسَّاعِي لِيُحْرِزَ نَفْسَهُ	**وَلَكِنَّنِي عَنْ عَوْرَةِ الحَيِّ ذَائِدُ**
وإِن يَكُ مَجْدٌ فِي تَمِيمٍ فَإِنَّهُ	**نَمَانِي اليَفَاعُ نَهْشَلٌ وعُطَارِدُ**
وَمَا جَمَعَا مِنْ آلِ سَعْدٍ وَمَالِكٍ	**وَبَعْضُ زِنَادِ القَومِ غَلْثٌ وَكَاسِدُ**
وَمَن يَتَبَلَّغْ بِالحَدِيثِ فَإِنَّهُ	**عَلَى كُلِّ قَولٍ قِيلَ رَاعٍ وَشَاهِدُ**(39)

يقول : لا أجعل أكبر همِّي إحراز نفسي، ولكنَّني أحامي عن حيِّي وأذود عنهم عدوهم، فرفعني اليفاع المرتفع، أي: رفعني نَهْشَلٌ وعُطَارد اليفاع، فمن يَتَبَلَّغ في النَّاس بشرف حديث فإنَّه على كلِّ قولي وافتخاري لقديم الشَّرف شاهد وراع يرعاه .

ويبيِّن الشاعر بعض صور المجد، فلا يجعل أكبر همِّه إبراز نفسه بل يدافع عن قبيلته بصورة معنويَّة، ويذود عن عدوهم ويبرز كثيرًا من أمجاد أجداده القدماء، ويقارن بين المجد التَّالد والمجد الطَّريف، حيث تلك الأمجاد قديمة وشريفة والنَّاس تبصر ذلك، ومن هنا يفخر الشَّاعر بنفسه ونسب أجداده وأنَّه يعتني بطارق الليل، لأنَّه هو رجل جماعة في قبيلته.

ويفخر عَوفُ بْنُ عَطِيَّةَ بْنِ الخَرِعِ التَّيميُّ بمجموعة من القِيَم، فيذكر في أبياته الَّتي يقول فيها: (الوافر)

لَعَمْـــرُكَ إِنَّنِـــي لأَخُـــو حِفَـــاظٍ وَفِـــي يَـــومِ الكَرِيهَـــةِ غَيْـــرُ غُمْـــرِ
أَجُـــودُ عَلَـــى الأَبَاعِـــدِ بِاجْتِـــدَاءٍ وَلَـــم أَحْـــرِمْ ذَوِي قُرْبَـــى وَإِصْـــرِ
وَمَـــا بِـــي فَـــاعْلَموهُ مِـــنْ خُشُـــوعٍ إِلَـــى أَحَـــدٍ وَمَـــا أُزْهَـــى بِكِبْـــرِ
أَلَـــم تَـــرَ أَنَّنَـــا مِـــرْدَى حُـــرُوبٍ نَسِـــيلُ كَأَنَّنَـــا دُفَّـــاعُ بَحْـــرِ
وَنَلْـــبَسُ لِلْعَـــدُوِّ جُلُـــودَ أُسْـــدٍ إِذَا نَلْقَـــاهُمُ وَجُلُـــودَ نُمْـــرِ
وَنَرْعَـــى مَـــا رَعَيْنَـــا بَـــيْنَ عَـــبْسٍ وَطَيِّهَـــا وَبَـــيْنَ الحَـــيِّ بَكْـــرِ
وَكُلُّهُـــم عَـــدُوٌّ غَيْـــرُ مُبْـــقٍ حَـــدِيثٌ قُرْحُـــهُ يَسْـــعَى بِـــوِتْرِ[40]

يدافع الشَّاعر عن المحرمات ويحافظ على الجود، وإرث الأجداد وذوي القربى، فلا خاضع ولا متكبّر، وهو يفخر بشجاعته وبأس قومه في الحروب، فَهُم أعزَّاء النَّفس مقابل ما تضمره لهم الأقوام من عداوة ومنافسة، وهو بهذا يذود عن المحارم في الحروب ويجود عند السُّؤال ويشيد بقومه بقوَّتهم وكرمهم وعزّهم وحفظ العهد لبلادهم .

ويقرن الشَّاعر في أبياته الكثير من قيم البطولة الحربيَّة، كالشَّجاعة والقوَّة والسَّيطرة والإقدام، وتشبه ببعض الحيوانات المتوحّشة كالأسود والنُّمور المعروفة بالقوَّة والهيبة والرَّهبة، وبيَّن قيم البطولة الخُلُقيَّة من حفظ الذِّمار وحماية الجارّ ومودَّة النَّاس الأباعد والأقارب وإكرامهم، وعدم التَّكبُّر والغرور وغيرها .

ث-سلاح الشِّعر بجانب آلة الحرب :

لم تكن البطولة عند العرب في خوض الحروب فقط، بل في كثير من الجوانب منها: القدرة الشعريَّة الَّتي تعدُّ من متمِّمات الفروسيَّة العربيَّة، والوجه الثَّاني لفروسيَّة المتكلِّم[41]، قال المُزَرِّدُ بنُ ضِرَارٍ : (الطَّويل)

فَقَـدْ عَلِمُـوا فِـي سَـالِفِ الـدَّهْرِ أَنَّنِـي مِعَـــنٌّ إِذَا جَـــدَّ الجِـــرَاءُ وَنَابِـــلُ
زَعِـــيمٌ لِمَـــن قَاذَفْتُـــهُ بِأَوَابِـــدٍ يُغَنِّـــي بِهَـــا السَّـــارِي وَتُحْـــدَى الرَّوَاحِـــلُ
مُـــذَكَّرَةٍ تُلْقَـــى كَثِيـــرًا رُوَاتُهَـــا ضَـــوَاحٍ لَهَـــا فِـــي كُـــلِّ أَرْضٍ أَزَامِـــلُ
تُكَـــرُّ فَـــلَا تَـــزْدَادُ إِلاَّ اسْـــتِنَارَةً إِذَا رَازَتِ الشِّـــعْرَ الشِّـــفَاهُ العَوَامِـــلُ[42]

ردَّ الشَّاعر على من ينتقصه بظهر الغيب، ويتوعَّده بالهجاء المقذع الَّذي تتناقله الرُّواة، مفتخرًا بشعره ومعتزًّا بقوَّته فيه، ولا شكَّ أنَّ بعض مظاهر البطولة تُستبان في الشِّعر، فأظهر الشَّاعر جماليَّة بطولته الشِّعريَّة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، كي تتداوله الألسن ويتناقله الرُّواة.

ج- الاعتداد بالكثرة والغلبة :

يعدُّ الاعتداد بالكثرة أداة مهمَّة من الأدوات الَّتي استعملها الشُّعراء للافتخار بالفعل البطوليّ المُنجَز، لأنَّ اتِّصاف القبيلة بالكثرة سمة مَدْحِيَّة شاعت في عصر ما قبل الإسلام .

يؤكد الأَخْنَسُ بْنُ شِهَابٍ التَّغْلِبِيُّ أنَّ الفعل البطوليَّ قائم على القوَّة والسَّيطرة والكثرة، فيقول: (الطَّويل)

وَنَحْـــنُ أُنَـــاسٌ لَا حِجَـــازَ بِأَرْضِـــنَا ... مَـــعَ الغَيْـــثِ مَـــا نُلْقَـــى وَمَـــنْ هُـــوَ غَالِـــبُ
تَـــرَى رَائِـــدَاتِ الخَيـــلِ حَـــولَ بُيُوتِنَـــا ... كَمِعْـــزَى الحِجَـــازِ أَعْجَزَتْهَـــا الزَّرَائِـــبُ
فَيُغْـــبَقْنَ أَحْلَابًـــا وَيُصْـــبَحْنَ مِثْلَهَـــا ... فَهُـــنَّ مِـــنَ التَّعْـــدَاءِ قُـــبٌّ شَـــوَازِبُ
فَوَارِسُـــهَا مِـــن تَغْلِـــبَ ابْنَـــةِ وَائِـــلٍ ... حُمَـــاةٌ كُمَـــاةٌ لَـــيسَ فِيهَـــا أَشَـــائِبُ
هُـمُ يَضْـرِبُونَ الكَـبْشَ يَبْـرُقُ بَيْضُـهُ ... عَلَـــى وَجْهِـــهِ مِـــنَ الـــدِّمَاءِ سَـــبَائِبُ
بِجَـــأْوَاءَ يَنْفِـــي وِرْدُهَـــا سَـــرَعَانَهَا ... كَـــأَنَّ وَضِـــيحَ البَـــيْضِ فِيهَـــا الكَوَاكِـــبُ
وَإِنْ قَصُـــرَتْ أَسْـــيَافُنَا كَـــانَ وَصْـــلُهَا ... خُطَانَـــا إِلَـــى القَـــومِ الَّـــذِينَ نُضَـــارِبُ
فَلِلَّهِ قَـــومٌ مِثْـــلُ قَـــومِيَ سُـــوقَةً ... إِذَا اجْتَمَعَـــتْ عِنْـــدَ المُلُـــوكِ العَصَـــائِبُ[43]

يتجسَّد الفعل البطوليُّ للشَّاعر في هذا النَّصِّ باستهلال الفخر بقوله : (نَحْنُ)، مؤكِّدًا معاني القوة والشجاعة والسيطرة كلَّها، الَّتي سيذكرها بعدها مجتمعة فيه وفي قومه، فهم أقوياء لا يهابون أحدًا، فلا حدود لهم تمنع سطوتهم وسيطرتهم على أرض مخصبة، وخيولهم (رَائِدَاتٌ) ترعى حول بيوتهم لا تحصرها حظائر لكثرتها، مجسِّدًا هذا المعنى بصورة تشبيهيَّة حينما شبَّهها بمعزى الحجاز لا تحرسها الزَّرائب لكثرتها، ومشيرًا في الوقت نفسه إلى كثرة الفرسان في قبيلته : (فَوَارِسُهَا مِن تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ) الأبطال الشُّجعان (حُمَاةٌ كُمَاةٌ) أصلاء النَّسب (لَيسَ أَشَائِب)، وجاء الجناس هنا معزِّزًا المعنى والموسيقى، بما أحدثه من تناغم صوتيٍّ في تماثل اللفظتَين، ممَّا يُطرب الأُذن ويحرِّك الذِّهن إلى تعزيز الفعل البطوليّ، ولاسيَّما أنَّه أجرى هذا الفعل بالضَّرب، وليس أيَّ ضَرْبٍ، بل ضَرْبُ مَن هو ندٌّ أو كُفْؤ لهؤلاء الفرسان، وهو (الكَبْشُ) قائد العدو وحاميهم، حتَّى أَجرَوا طُرُق الدَّم على وجهه، ((وإنَّما خصَّ الوجه، لأنَّه أشجع للمضروب، وإنَّما يُضرَبُ في رأسه مقبلًا))[44]، فقام الفعل البطوليُّ هنا على صورة الدَّم بهيئته العنيفة وإيحاءاته الدَّالَّة على الشِّدَّة والقوَّة[45].

وبتفاعل صورته اللونيَّة مع صورة الكتيبة (جَأْوَاء)، وهي : الكثرة من الدُّروع المتغيِّرة الألوان بين الحمرة والسَّواد لطول الغزو، مع صورة البياض فيها (السُّيوف) كأنَّها في لمعانها كواكبُ مضيئة، كلُّ هذه التَّشكيلات اللونيَّة أسهمت في إبراز قوَّة الفعل البطوليّ لقومه، الَّذين لا يبالون إن قَصُرت أسيافهم عن تناول الأعداء، فإنَّ خطاهم إليهم أسرع .

وتتكرَّر صورة الفعل البطوليّ بمعانيه على القوّة والكثرة والسُّرعة في قول المُرقِّشِ الأكبر: (الكامل)

هَلاَّ سَأَلْتِ بِنَا فَوَارِسَ وَائِلٍ فَلَنَحْنُ أَسْرَعُهَا إِلَى أَعْدَائِهَا
وَلَنَحْنُ أَكْثَرُهَا إِذَا عُدَّ الحَصَى وَلَنَا فَوَاضِلُهَا ومَجْدُ لِوَائِهَا[46]

افتتح الشَّاعر كلامه بـ (هَلاَّ سَأَلْتِ)، وهو يريد إرسال رسالة واضحة البيان والدَّلالة عن مفاخرته بقومه وشدَّة بأسهم، وهذا ديدن الكثير من شعراء الجاهليَّة، لتصل به المبالغة إلى أنَّ أعدادهم تبلغ عدد الحصى وربَّما أكثر، وهم أهل الحرب ورياتها، وهكذا يستعرض المُرقِّش الأكبر مرتبة قبيلته في أعلى مراتب القبائل، لبلائها في الحروب وأيَّام العرب .

ح- تصنيف آلة الحرب وأنواعها :

ولعلَّ الشاعر ثَعْلَبَةَ بْنَ عَمرٍو العَبْدِيَّ في استعراض أدوات القتال والحرب من خيل وسيف وقوس ودرع، يؤكِّد على أنَّها الأدوات الَّتي تحقِّق الفعل البطوليَّ بقِيَمه الجماليَّة كلِّها، وأنَّ تعدادها وتصويرها لونيًّا يمنحها صورتها المرعبة، فاستعمل اللون الأبيض المتمثِّل في صورة النَّواجذ المخيفة، فأسهمت شاعريَّة هذا اللون مع تكثيف اللون الأحمر (وَاحْمَرَّ) الدَّالِّ على الشدَّة والقوَّة والخطر في التَّعبير عن صورة الحرب[47]، فيقول : (الطَّويل)

بِبَيضَاءَ مِثْلِ النَّهْيِ رِيحَ وَمَدَّهُ شَآبِيبُ غَيثٍ يَحْفِشُ الأُكْمَ صَائِفُ
وَمُطَّرِدٍ يُرْضِيكَ عِنْدَ ذَوَاقِهِ وَيَمْضِي وَلَا يَنْآدُ فِيمَا يُصَادِفُ
وَصَفْرَاءُ مِن نَبْعٍ سِلاَحٌ أُعِدُّهَا وَأَبْيَضُ قَصَّالُ الضَّرِيبَةِ جَائِفُ
عَتَادُ امْرِئٍ فِي الحَرْبِ لَا وَاهِنِ القُوَى وَلَا هُوَ عَمَّا يَقْدِرُ اللهُ صَارِفُ
بِهِ أَشْهَدُ الحَرْبَ العَوَانَ إِذَا بَدَتْ نَوَاجِذُهَا وَاحْمَرَّ مِنْهَا الطَّوَائِفُ
قِتَالَ امْرِئٍ قَدْ أَيْقَنَ الدَّهْرَ أَنَّهُ مِنَ المَوتِ لَا يَنْجُو وَلَا المَوتُ جَانِفُ[48]

تَظهَر القيمة الجماليَّة للفعل البطوليّ من وصف الشَّاعر الأحداث وفخرِه بنفسه وإظهار شجاعته وقوَّته وصلابته، إذ وصف الدِّرع والرُّمح وكثير من آلات الحرب، ومنها : القوس، والنَّبل، والسِّهام، وهو بهذا يصف نفسه بأنَّه لا يهاب المنايا، حتَّى لو كان في جوف عميق، ويعيب على المرء جبنه إذا كان الموت حاجزًا بينه وبين شجاعته وإقدامه.

خ- نبذ الحرب ووصفها بالغول :

استهلَّ أبو قَيسِ بنُ الأَسْلَتِ الأَنصاريُّ بطولته في ساحات القتال بفعلٍ ينمُّ عن رقَّة تعامله مع المرأة، فينفي عنها قصديَّة القول الفاحش بعدما استنكرت هيئته الَّتي غيَّرتها الحرب، فيقول: (السَّريع)

قَالَتْ وَلَمْ تَقْصِدْ لِقِيلِ الخَنَا مَهْلًا فَقَدْ أَبْلَغْتَ إِسْمَاعِي
أَنْكَرْتِهِ حِينَ تَوَسَّمْتِهِ وَالحَرْبُ غُولٌ ذَاتُ أَوْجَاعِ
مَن يَذُقِ الحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَهَا مُرًّا وَتَحْبِسْهُ بِجَعْجَاعِ
قَدْ حَصَّتِ البَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ غُمْضًا غَيْرَ تَهْجَاعِ
أَسْعَى عَلَى جُلِّ بَنِي مَالِكٍ كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِ
أَعْدَدْتُ لِلأَعْدَاءِ مَوضُونَةً فَضْفَاضَةً كَالنَّهْيِ بِالقَاعِ[49]

عَمَدَ الشَّاعر إلى استعمال أساليب فنيَّة، ليكشف قيمة أفعاله البطوليَّة، على الرَّغم من كراهته للحرب الَّتي صوَّرها بأبشع صورة، حينما شبَّهها بالغول الَّتي تأتي بالشَّرِّ والأوجاع، فاعتنى بإظهار شجاعته وقوَّته، فأخذ يسجِّل هذا الموقف وما تفعله الحرب في فرسانها وما يذوقون من مرارة، ففخر برجولته وإقدامه وجرأة فروسيته، وبدا متفوِّقًا على من سواه بشجاعة فريدة مقرونة بالعفَّة والنُّبل وسعة الأخلاق، فرسم صورًا رائعة أظهرت بشاعة الحرب وكراهتها، معتمدًا على الحاسَّة الذَّوقيَّة لينفر منها، وما أشدّ نفورًا من طعم المرارة، وكذلك الحاسَّة البصريَّة حينما صوَّر ذهاب شَعْرِهِ وتناثره، لطول مكوث البيضة (الخُوذَة) على رأسه .

ويواصل الشَّاعر أبو قيس قوله : (السَّريع)

الحَـــزْمُ وَالقُـــوَّةُ خَيـــرٌ مِـــنَ الـــ إِدْهَـــــانِ وَالفَكَّـــــةِ وَالهَـــــاعِ
لَـــيْسَ قَطَـــا مِثْـــلَ قُطَـــيٍّ وَلَا الْـــ ـــمَرْعِيُّ فِـــي الأَقْـــوَامِ كَـــالرَّاعِي
لا نَـــأْلَمُ القَتْـــلَ وَنَجْـــزِي بِـــهِ الْـــ ـــأَعْدَاءَ كَيْـــلَ الصَّـــاعِ بِالصَّـــاعِ
نَـــذُودُهُمْ عَنَّـــا بِمُسْـــتَنَّةٍ ذَاتِ عَـــرَانِينَ وَذُفَّـــاعِ
كَـــأَنَّهُمْ أُسْـــدٌ لَـــدَى أَشْـــبُلٍ يَنْهَـــتْنَ فِـــي غِيـــلٍ وَأَجْـــزَاعِ
حَتَّـــى تَجَلَّـــتْ وَلَنَـــا غَايَـــةٌ مِـــن بَـــيْنِ جَمْـــعٍ غَيْـــرِ جُمَّـــاعِ
هَـــلاَّ سَـــأَلْتِ الخَيـــلَ إِذْ قَلَّصَـــتْ مَـــا كَـــانَ إِبْطَـــائِي وَإِسْـــرَاعِي[50]

تتجلَّى قيمة الفعل البطوليّ في طلب المعالي، فليس النَّبيل كالدَّنيّ، وليس الأكابر كالأصاغر، والشاعر هنا يفخر بنفسه حين يبيّن أنَّ الحزم والقوَّة خير من النِّفاق والمخادعة، وخير من الضَّعف والهوان، وهو لا يخاف القتل، كريمٌ وشجاعٌ مقدامٌ، فيشبّه نفسه بالأسد، وهذه صورة بيانيَّة بلاغيَّة واضحة في هذا النَّصّ الشِّعريّ، إذ يحثُّ الشَّاعر في الصُّور كلّها على طلب المعالي في الأفعال والأقوال، لأنَّها قيم جماليَّة لفعله البطوليّ.

د- الانتصارات :

ومن القيم الجماليَّة البطوليَّة الَّتي سجَّلها الشُّعراء في شعرهم، افتخارًا بها واعتزازًا، انتصاراتهم الَّتي حقَّقوها على بعض القبائل وسجَّلوها في شعرهم، يقول بشر بن أبي خازم : (الكامل)

وَلَقَدْ خَبَطْنَ بَنِي كِلاَبٍ خَبْطَةً ... أَلْصَقْنَهُمْ بِدَعائِمِ المُتَخَيَّمِ
وَصَلَقْنَ كَعْبًا قَبْلَ ذَلِكَ صَلْقَةً ... بِقَنًا تَعَاوَرَهُ الأَكُفُّ مُقَوَّمِ
حَتَّى سَقَيْنَاهُمْ بِكَأْسٍ مُرَّةٍ ... مَكْرُوهَةٍ حَسَوَاتُهَا كَالعَلْقَمِ[51]

رسم الشَّاعر لوحة ملحميَّة جعل فيها قومه راية تعلو كلَّ الرَّايات، حينما أبدى ضروب الشَّجاعة لقومه وهم يَرِدُون خصمهم (بَنِي كِلَابٍ) إلى مواضعهم، ولم يغب عن باله التَّذكير بأنَّ سالف شجاعة قومه قد تكرَّرت مع بني كَعْب الَّذين أذاقوهم كأس الهزيمة والذِّل .

وظَّف الشاعر العربيُّ كلَّ ما يملكه في الدِّفاع عن القبيلة، فالدِّفاع شيء بطوليٌّ يفخر به ويعتز، فكانت لغة التَّهديد والوعيد بشجاعة البطل وبطش قومه من صور البطولة الحربيَّة الَّتي غالبًا ما يستعملها الشُّعراء لإظهار بعض القيم .

ذ- التَّغني بأمجاد الآباء :

وعن الفخر والتَّغنِّي بأمجاد الآباء وأصلهم الكريم من أَرُومة عربيَّة أصلها ثابت وفروعها مثمرة مباركة معطاءة، ففي ذلك يقول مُعَاوِيةُ بْنُ مَالِكٍ العامريُّ : (الكامل)

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ عُصْبَةٍ مَشْهُورَةٍ ... حُشُدٍ لَهُمْ مَجْدٌ أَشَمُّ تَلِيدُ
أَلْفَوا أَبَاهُمْ سَيِّدًا وأَعَانَهُمْ ... كَرَمٌ وأَعْمَامٌ لَهُمْ وَجُدُودُ
إِذْ كُلُّ حَيٍّ نَابِتٌ بِأَرُومَةٍ ... نَبَتَ العِضَاهِ فَمَاجِدٌ وَكَسِيدُ
نُعْطِي العَشِيرَةَ حَقَّهَا وَحَقِيقَهَا ... فِيهَا ونَغْفِرُ ذَنْبَهَا وَنَسُودُ
وَإِذَا تُحَمِّلُنَا العَشِيرَةُ ثِقْلَهَا ... قُمْنَا بِهِ وَإِذَا تَعُودُ نَعُودُ
وَإِذَا نُوَافِقُ جُرْزَةً أَو نَجْدَةً ... كُنَّا سُمَيَّ بِهَا العَدُوَّ نَكِيدُ[52]

ففي الوقت الَّذي يؤكِّد فيه الشَّاعر استحقاقات العشيرة وثوابتها على أبنائها، يشير في الوقت نفسه إلى ضرورة أن يتجاوز ابنُ العشيرة أخطاء عشيرته وزلاّتهم إنْ حصلت، وفي الأحوال كلِّها هو يسير في فلكها شرًّا كان أم خيرًا، ينفّذ واجباتها مهما ثقلت.

وعليه تتبيَّن القيمة الجماليَّة في الصُّورة التَّشبيهيَّة بين قوَّة جذر نبات العِضَاه (نَبَات صحراويٌّ)، وقوَّة ارتباط الفرد بعشيرته وأصله العريق، فهو ابن العشيرة يذهب حيث ذهبت ويعود حيث عادت، وكأنَّه

غصن يميل حيث تميل الشَّجرة الأم ليس لـه خيار في ذلك، وهو يفخر بهذا النَّسب، وبإعطاء هذه الحقوق للعشيرة وغيرها وتحملهم عنها غراماتها وديَّاتها وهم يفعلون ذلك مرَّةً بعد مرَّة .

ونجد عند الشَّاعر عامر بن الطُّفَيل حوارًا افتراضيًّا بين الفارس وفرسه، لإظهار بطولة الفارس وهو يمتطي صهوة جواده حينما يكرُّ على عدوّه، فيقول : (الطَّويل)

لَقَـد عَلِمَـتْ عُلْيَـا هَـوَازِنَ أَنَّنِـي ... أَنَـا الفَـارِسُ الحَـامِي حَقِيقَـةَ جَعْفَـرِ

وَقَـدْ عَلِـمَ المَزْنُـوقُ أَنِّـي أَكُـرُّهُ ... عَلَـى جَمْعِهِـمْ كَـرَّ المَنِـيحِ المُشَـهَّرِ

إِذَا ازْوَرَّ مِـن وَقْـعِ الرِّمَـاحِ زَجَرْتُـهُ ... وَقُلْـتُ لَـهُ ارْجِـعْ مُقْـبِلًا غيـرَ مُـدْبِرِ[53]

في الشِّعر قيمة جماليَّة رائعة، فمثلما يؤكِّد لأحد فروع قبيلة هوازن عِلمَها بصولات الفارس حامي ديارها وجولاته، فهو يؤكِّد أنَّ جواده (المَزْنُوق) يعرفُ ذلك جيِّدًا كيف يزجره فارسه، حينما يأبى من وقع الرِّماح ويتردَّد في مواصلة جموحه، بالكرِّ على العدوِّ مقبلًا جسورًا لا يلوي على شيء سوى تمزيق جمع العدوِّ، إنَّها بحق محاورة في غاية الحسن بتأكيد القيمة الجماليَّة للفروسيَّة وفعلها البطوليّ بطرفيها الفارس والجواد، فضلاً عن أنَّ الصُّورة البلاغيَّة واضحة في تكرار مفردات الأنا لثلاث مرَّات، لتأكيد الذَّات البطوليَّة .

وهذا شاعرٌ آخر يكشف عن صورة الحرب من زاوية أخرى، فيشخِّصها ويجعلها إنسانًا ينتسب إليه، فهو ابنها الَّذي لا يزال يشعلها ويدبِّر أمرها ليلًا فلا ينام، ويوقد نيرانها ويدبِّر أسبابها وإن لم تكن أو تشتعل، وفي ذلك يقول عامر بن الطُّفَيل : (الكامل)

وَأَنَـا ابْـنُ حَـرْبٍ لاَ أَزَالُ أَشُـبُّهَا ... سَـمَرًا وَأُوقِـدُهَا إِذَا لَـم تُوقَـدِ

فَـإِذَا تَعَـذَّرَتِ الـبِلَادُ فَأَمْحَلَـتْ ... فَمَجَازُهَـا تَيْمَـاءُ أَو بِالأَثْمُـدِ[54]

فإذا استعرَتِ الحرب وشبَّ أُوارها لم يبق موضع آمنًا إلَّا عبر تَيمَاءَ أَو أَثْمُد، ولعلَّ هذَين الموضعين كانا محلَّ اتِّفاق بين القبائل للمرور الآمن .

يقول سُبَيعُ بْنُ الخَطِيمِ التَّيمِيّ: (الكامل)

وَلَقَدْ شَـهِدْتُ الخَيـلَ تَحْمِـلُ شِـكَّتِي ... جَـرْدَاءُ مُشْـرِفَةُ القَـذَالِ سَـلُوفُ

تَرْمِـي أَمَـامَ النَّـاظِرَيْنِ بِمُقْلَـةٍ ... خَوْصَـاءَ يَرْفَعُهَـا أَشَـمُّ مُنِيـفُ

ومَجَـالِسٌ بِـيضُ الوُجُـوهِ أَعِـزَّةٌ ... حُمْـرُ اللِثَـاتِ كَلاَمُهُـمْ مَعْـرُوفُ

أَرْبَـابُ نَخْلَـةَ وَالقُـرَيْظِ وَسَـاهِمٍ ... إِنِّـي كَـذَلِكَ آلِـفٌ مَـأْلُوفُ[55]

وجاء ابن الخَطِيمِ بشهادة الخيل على شجاعته، فهي الَّتي تحمله وتحمل أسلحته أمام العدوّ، فتنظر أمامها بعيون غائرة يرفعها حجاج مرتفع، وهو العظم الَّذي ينبت عليه الحاجب، وهو ممَّا يُمدح في الخيل، تنظر إليه لِمَا فيه من أنفة وعزَّة وكرامة وسط المجالس العالية من القوم، وقد عُرف بين هذه المجالس وأَلِف وتآلف فيها، فكان بين النَّاس معروفًا.

وأجاد الشاعر في توظيف الصُّورة الكنائيَّة اللونيَّة وإبراز جماليَّة بعض القيم، فـ (بِيضُ الوُجُوهِ) لتأكيد قيم الكرم والشجاعة والنُّبل والفعال الخيرة، و(حُمْرُ اللِثَاتِ) لتأكيد قيم البشاشة وطلاقة الوجه والسَّماحة، ويدل مجيء هذه القيم في سياق المدح على السُّموّ والرِّفعة[56].

وفي هذا المعنى يقول عَبدُ اللهِ بْنُ عَنَمَةَ : (البسيط)

مَا إِنْ تَرَى السِّيدُ زَيْدًا فِي نُفُوسِهِمُ ... كَمَا تَرَاهُ بُنُو كُوزٍ وَمَرْهُوبُ
إِنْ تَسْأَلُوا الحَقَّ نُعْطِ الحَقَّ سَائِلَهُ ... وَالدِّرْعُ مُحْقَبَةٌ وَالسَّيفُ مَقْرُوبُ
وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَإِنَّا مَعْشَرٌ أُنُفٌ ... لَا نَطْعَمُ الذُّلَّ إِنَّ السُّمَّ مَشْرُوبُ[57]

يعطي الشَّاعر تصوُّرًا كاملًا عن أمجاد قومه وبطولاتهم بين الجميع، فهم يعطون السَّائل حقَّه، ويجعلون دروعهم نُصب أعينهم تأهُّبًا للحرب، ويُقرِّبون السَّيف منهم لوَعيهم بأهمِّيَّته لمن يتعدَّى عليهم، وعن كرامة القوم الَّتي لا تجعلهم يطعمون الذُّلَّ، بل يشربون السُّمَّ ويموتون قبل أن تتعدَّى عليهم قبيلة وتنتصر، فإن أرادوا الصُّلح كان السِّلاح مستورًا، وإن رفضوا ظهر واستلَّ، وهو يطلب من عدوِّه أن ينتهي من التَّعرُّض لهم وإلاَّ جرَّ على نفسه شرًّا وشؤمًا .

وفي قول خُزَاشَةَ بْنِ عَمرٍو العَبْسِيّ : (الطَّويل)

فَلاَ قَومَ إِلاَّ نَحْنُ خَيْرٌ سِيَاسَةٍ ... وَخَيْرٌ بَقِيَّاتٍ بَقِينَ وَأَوَّلاَ
وَأَطْوَلُ فِي دَارِ الحِفَاظِ إِقَامَةً ... وَأَرْبَطُ أَحْلاَمًا إِذَا البَقْلُ أَجْهَلاَ
وَأَكْثَرُ مِنَّا سَيِّدًا وَابْنَ سَيِّدٍ ... وَأَجْدَرُ مِنَّا أَن يَقُولَ فَيَفْعَلَا
قُرُومٌ نَمَتْنَا فِي فُرُوعٍ قَدِيمَةٍ ... بِحَيْثُ امْتِنَاعُ المَجْدِ أَن يَتَنَقَّلَا
حُمَاةٌ غَدَاةَ الرَّوْعِ يَأْمَنُ سَرْبُنَا ... إِذَا دَهِمَ الوِرْدُ الضَّعِيفَ المَذَلَّلَا[58]

فاعتزاز الشَّاعر بأهله ونسبه والإشادة بأفعال أجداده سمةٌ واضحةٌ في القصيدة، الأمر الَّذي جعل من صبرهم على ضروب الحياة حلوها ومرّها لا يتزعزع (دَارِ الحِفَاظِ)، فهم مرابطون سيِّدًا عن سيِّدٍ، ولا شكَّ أنَّ الآمال مبنيَّة على الفروع والأجيال الجدد من أنَّهم يحذون حذو آباءهم وأجدادهم، فيحمون الأهل والدِّيار والمال .

المبحث الثَّاني: جماليَّة القول الحِكْمِيّ

الحكمة قول رائع يتضمن حُكمًا صحيحًا مسلَّمًا به، وتتكون من جمل رصينة وعبارات بليغة، تمتاز بإيجاز اللفظ ودقَّة المعنى، فتكون شعرًا أو نثرًا، وهي ثمرة ناضجة من ثمار الاختبار الطَّويل، والتَّجربة الصَّادقة، والعقل الرَّاجح، والرَّأي السَّديد .

قال ابن فارس (ت: 395هـ) في تعريفها لغةً : ((الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد، وهو: المَنْعُ، وأوَّل ذلك الحُكْمُ، وهو : المنع من الظُّلم، وسُمِّيت حَكَمَة الدَّابة، لأنَّها تمنعها، ...، والحِكْمَةُ هذا قياسها، لأنَّها تمنع من الجهل، ...، و(المُحْكَمُ) : المُجَرَّبُ المنسوب إلى الحِكْمَة، قال طَرَفَة[59] :

لَيْتَ المُحَكَّمَ وَالمَوعُوظَ صَوتَكُمَا تَحْتَ التُّرَابِ إِذَا مَا البَاطِلُ انْكَشَفَا

أراد بـ (المُحَكَّم) : الشَّيخ المنسوب إلى الحِكْمَةِ))[60] .

تُستنبط الحِكَم والأمثال من حوادث الحياة، فيدوِّنها الشُّعراء والكتَّاب في أشعارهم وكتاباتهم، فتجري على ألسن النَّاس، وقد تستنبط من حوادث الحياة الخاصَّة، فتدور دوران الأسامي، ومنها ما يثبت على تراخي الأحقاب ومنها ما يضعف أثره بتغيُّر الأزمان .

اشتهر العرب بحكمتهم فضلًا عن فصاحتهم وبلاغتهم، فما كان منهم الاَّ أن سطَّروا حكمتهم في أشعارهم، ليُخلِّدها الزَّمان، لذا نجد الشِّعر العربيَّ يزخر بالموعظة وخلاصة التَّجارب الحياتيَّة، مثلما اشتمل على بقيَّة أغراض الشِّعر كالمديح والهجاء والرِّثاء وغيرها، لأنَّ الشعر ديوان العرب، ويُخلِّد في صفحاته تاريخ ثقافتهم العريق[61] .

ولعلَّ أفضل تعريف للحكمة من وجهة النَّظر المعاصرة ببعدها الأدبي، هي الخلاصة الَّتي كتبها الدُّكتور يحيى الجبوريّ وجاء في مضمونها : إنَّها ثمرةُ تجاربَ طويلةٍ وفطنةٌ ونظرٌ ثاقبٌ وبصيرةٌ نافذةٌ بالنَّاس وأخلاقهم، والماضين ومصائرهم، وتأمُّلٌ في سعي الإنسان وغايته ونهايته، ثمَّ إحساسٌ دقيق بالحياة، فهي دليلٌ على رقيّ عقليَّة الشُّعراء وتفكيرهم وتأمُّلهم في قضايا النَّاس والحياة[62] .

أمَّا الحكمة العربيَّة في بعدها الفلسفيّ فلم تصل في أوَّليَّتها إلى حدِّ الفلسفة ذات الأصول أو التَّفكير المنطقيّ المنظَّم، بل هي أقرب إلى الإحساس الذَّاتيّ والتَّأثُّر منها إلى التَّفكير العلميّ، فهي نظرات وانطباعات ومحاولات لِسَنِّ نُظُمٍ خُلُقيَّة يتَّبعها النَّاس فيما يرضونه من خصالٍ وسلوكٍ، أو ينكرونه من أفعال وعادات، لذلك جاءت حكمتهم حقائق مجرَّدة في متناول الفطرة السليمة، فكانت أفكارهم صدىً لهذه التَّأمُّلات والمشاهدات، تُصاغ في بيت شعر أو عبارة أنيقة موجزة غزيرة المعنى، ذات دلالات بعيدة تقع في النَّفس موقعها الأثير، فيُقبِل عليها السَّامعون وتغدو أمثالًا تجري على الألسنة على مرِّ العصور[63] .

لم تخلُ قصائد الشُّعراء قبل الإسلام من الحكمة، فهي نتاج تجربة الإنسان الحياتيَّة، يبرزها في إطار إنسانيٍّ عامٍّ، ويبيّن تجربته الحياتيَّة ضمن واقعه، فتكون مرآة صادقة كاشفة عن الخصائص الاجتماعيَّة للمجتمع، وتعبّر عن فلسفة الشَّاعر الأخلاقيَّة والسُّلوكيَّة والعقائديَّة، ويصبُّ تجاربه كلَّها في هذا الإبداع الفكريّ .

الحِكْمة في التجربة الإنسانية :

ولأنَّ مضمون القول الحِكْميّ هو خلاصة التَّجارب الإنسانيَّة والنَّظرة والبصيرة بأحوال النَّاس وأخلاقهم، فضلاً عن مخالطتهم رجالاً ونساءً، فإنَّ ما يهمنا منه هو شِعْريَّة الحكمة الجماليَّة، بوصفها جزءًا مهمًّا من النَّسيج الشِّعريّ، يقول عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدَةَ الفَحْلُ : (البسيط)

وَالحَمْـدُ لَا يُشْـتَرَى إِلَّا لَـهُ ثَمَـنٌ ... مِمَّـا يَضِـنُّ بِـهِ الأَقْـوَامُ مَعْلُـومُ

وَالجُـودُ نَافِيَـةٌ لِلمَـالِ مَهْلِكَـةٌ ... وَالبُخْـلُ بَـاقٍ لأَهْلِيـهِ وَمَـذْمُومُ

وَالمَـالُ صُـوفُ قَـرَارٍ يَلْعَبُـونَ بِـهِ ... عَلَـى نِقَادَتِـهِ وَافٍ ومَجْلُـومُ

ومُطْعَـمُ الغُـنْمِ يَـومَ الغُـنْمِ مُطْعَمُـهُ ... أَنَّـى تَوَجَّـهَ وَالمَحْـرُومُ مَحْـرُومُ

وَالجَهْـلُ ذُو عَـرَضٍ لَا يُسْـتَرَادُ لَـهُ ... وَالحِلْـمُ آوِنَـةً فِـي النَّـاسِ مَعْـدُومُ

وَمَـن تَعَـرَّضَ لِلغِرْبَـانِ يَزْجُرُهَـا ... عَلَـى سَـلَامَتِهِ لَا بُـدَّ مَشْـؤُومُ

وَكُـلُّ حِصْـنٍ وَإِنْ طَالَـتْ سَـلَامَتُهُ ... عَلَـى دَعَائِمِـهِ لَا بُـدَّ مَهْـدُومُ(64)

وهنا تبرز جماليَّة القول الحِكْميّ في تناول الشَّاعر مجموعة من القضايا الإنسانيَّة والتَّجارب الحياتيَّة، الَّتي يتحصَّل فيها الذِّكر المحمود، فيدعو أوَّلًا إلى الكرم ثمَّ يذمُّ البخل، ليستسهلها بأنَّ طريق المحامد ليست سهلة، فلا يتأتَّى لصاحبه إلاَّ بالمكابدة والمعاناة والشَّجاعة والبذل، مجسِّدًا ذلك بصورة تشبيهيَّة رائعة، بأن جعل الحمد كالسِّلعة الَّتي تُشترى، والأجمل بأنَّه أوحى بالثَّمن المعنويّ وليس الماديَّ الَّذي بَخِلَ بدفعه بقيَّة الأقوام لصعوبته، فللجود شجاعة لا يتحلَّى بها أيُّ شخصٍ، فهو يهلك المال ويُفنيه، أمَّا البخل فمن الرَّذائل المذمومة .

ثم يصوّر اختلاف النَّاس، فمنهم الغنيُّ المُكثِر، ومنهم الفقير الَّذي لا مال له، كصغار الغنم (القَرَار)، منه ما هو وافي الصُّوف يغطِّي جسمه ومنه لا صوف له، وهو ينتزع هذه الصُّورة من واقعه البيئيّ، ليقربها الى الذِّهن، فتكون أكثر تأثيرًا وإحساسًا في النَّفس باثًّا .

ويدعو أيضًا إلى فضيلة الحلم الَّذي فقده النَّاس، بينما الجهل بما فيه من طيش وسَفَهٍ معروض لك وأنت لا تريده .

ويتعرض لقضيَّة التَّشاؤم المرتبطة بالغربان في الذِّهنيَّة العربيَّة، فيدعو إلى عدم الانجرار وراءها، فعلى الإنسان أن يتفاءل بوجود الأمل في كلِّ شيء، ولا يبقى شيءٌ مهما طال وجوده، ولابد أن تكون لكلِّ شيء نهاية كالحصن المنيع مهما طال الزَّمن على وجوده ومنعته فلا بدَّ يومًا سيُهدم، وهي دعوة إلى زيادة الإيمان بتغيُّر الأحوال وحتميَّة نهاية الموجودات .

وننتقل إلى قصيدة المُتَقَّبِ العَبْدِيّ، فهي تزخر بضروب الأخلاق الكريمة والصِّفات الحميدة الَّتي ينبغي أن يتحلَّى بها المرء تجاه نفسه وجاره وجُلَّاسه، وكلُّها، بحقٍّ، معانٍ تدور فيما تضمَّنه منهج الإسلام من : إكرام الجار، وتجنُّب الغيبة، والصَّفح الجميل عن المسيء، وها هي قصيدة المُتَقَّبِ يقول فيها : (الرَّمل)

أُكْـــرِمُ الجَـــارَ وَأَرْعَـــى حَقَّـــهُ ... إِنَّ عِرْفَـــانَ الفَتَـــى الحَـــقَّ كَـــرَمْ
أَنَـــا بَيْتِـــي مِـــن مَعَـــدٍّ فِـــي الـــذُّرَى ... وَلِـــيَ الهَامَـــةُ وَالفَـــرْعُ الأَشَـــمْ
لاَ تَرَانِـــي رَاتِعًـــا فِـــي مَجْلِـــسٍ ... فِـــي لُحُـــومِ النَّـــاسِ كَالسَّـــبْعِ الضَّـــرِمْ
إِنَّ شَـــرَّ النَّـــاسِ مَـــن يَكْشِـــرُ لِـــي ... حِـــينَ يَلْقَـــانِي وَإِنْ غِبْـــتُ شَـــتَمْ
وَكَـــلاَمٍ سَـــيِّئٍ قَـــدْ وُقِـــرَتْ ... أُذُنِـــي عَنْـــهُ وَمَـــا بِـــي مِـــن صَـــمَمْ
فَتَعَزَّيْـــتُ خَشَـــاةً أَن يَـــرَى ... جَاهِـــلٌ أَنِّـــي كَمَـــا كَـــانَ زَعَـــمْ
وَلَـــبَعْضُ الصَّـــفْحِ والإِعْـــرَاضِ عَـــنْ ... ذِي الخَنَـــا أَبْقَـــى وَإِنْ كَـــانَ ظَلَـــمْ[65]

ويمتزج القول الحكميُّ الَّذي ساقه المُتَقَّبُ مع بعض الوصايا في جماليَّة شعريَّة رائعة ومتقنة، حينما أطَّرها بحواريَّة بدأها مخاطبًا نفسه : (أُكْرِمُ الجَارَ وَأَرْعَى حَقَّهُ) الواجب تنفيذه لا سماعه فقط، فأكَّد أوَّلًا على إكرام الجار وحمايته ورعاية حقِّه، لأنَّها من خصال السَّادة الكرام، وهو منهم نسبًا ورفعةً.

وأكَّد على ذميمة الغيبة والنَّميمة وترك مجالسها، ضاربًا مثلًا كأنَّه آكلُ لحوم النَّاس، ولم يكتفِ بذلك بل عمد إلى تأكيد بشاعتها في رسم صورة تشبيهيَّة بالأسد الَّذي اشتدَّ جوعه فأكل بشرًا .

وهكذا تظهر صورة القبح المشينة، لأنَّها ترينا البشاعة وتجسمها لنتقيها ونبتعد عنها، وتجمُّل الصِّفة أو السُّلوك المطلوب، وهو ما فعله أيضًا حينما استعمل أسلوب الاستعارة، ليجسِّم صفة النِّفاق والغدر، حينما شبَّه الإنسان المنافق الَّذي يُظهر المحبَّة ويُخفي الحقد والبغض والشَّتيمة بالحيوان الَّذي حينما تلقاه يَكشِرُ عن أنيابه، حتَّى تظنُّ أنَّه يبتسم، ولكنَّه في الحقيقة غادر يتأهَّب للهجوم، فجعل الشَّاعر هذا النَّوع من النَّاس في شرٍّ مستطير .

وأكَّد كذلك على الابتعاد عن الكلام السَّيِّئ والتَّغاضي عن قائلهِ، الَّذي وصفه بالجاهل، خشية أن يراه يصدر عنه، والاستمساك بالصَّفح والإعراض عن الشَّخص الفاحش (ذِي الخَنَا)، فذلك أفضل حتَّى وإن كان قد ظَلَمْ .

وتبدو الحكمة في قصيدة علقمة الفحل مختلفة عمَّا درج عليه بقيَّة الشُّعراء، إذ جعل محورها النِّساء، فيقول فيها: (الطَّويل)

فَـــإِن تَسْـــأَلُونِي بِالنِّسَـــاءِ فَـــإِنَّنِي بَصِـــيرٌ بِـــأَدْوَاءِ النِّسَـــاءِ طَبِيـــبُ

إِذَا شَـــابَ رَأْسُ المَـــرْءِ أَو قَـــلَّ مَالُـــهُ فَلَـــيسَ لَـــهُ فِـــي وُدِّهِـــنَّ نَصِـــيبُ

يُـــرِدْنَ ثَـــرَاءَ المَـــالِ حَيـــثُ عَلِمْنَـــهُ وَشَـــرْخُ الشَّـــبَابِ عِنْـــدَهُنَّ عَجِيـــبُ[66]

فهذه الحكمة وإن بَدَتْ مختلفة إلاَّ أنَّها ضمَّت الكثير من القيم الجماليَّة الَّتي ركَّز عليها الشَّاعر، ومنها أنَّ بعض الرِّجال مَنْ خَبَرَ طِباعَ النِّساء قادرٌ على معرفة أحوالهنَّ ومعالجة مواقفهنَّ، كالطَّبيب الحاذق بالأسقام والدَّواء .

واستعمل الشَّاعر أسلوب الشَّرط، لتأكيد معرفته وخبرته بالنِّساء الَّتي يفضِّلها بأنَّهن جُبِلْنَ على حبِّ المال ويعشقْنَ الثَّراء، كما يعشقْنَ الشَّباب والقوَّة، أمَّا الشَّيخ الكبير القليل المال فلا نصيب له من حبِّهنَّ وودِّهِنَّ، فيكون خسرانها ذا وقع شديد جدًّا عليه، ويشعر بمرارته كلَّما أحسَّ بضعفه ووهنه، ولاح في ناظريه بريق بياض شعره، ويكون أقسى حينما تنصرف النِّساء عنه وعدم رغبتهنَّ فيه، وتكمن في هذا الشُّعور المأساة الكبرى، لأنَّ حبَّ القرب منهنَّ أمر قد جُبِل عليه الرَّجل ومستقرٌّ في فطرته[67] .

الرِّثاء ومواجهة صروف الدَّهر:

ويسوق الشُّعراء قولهم الحِكمي مرتبطًا بالرِّثاء، ((فالرِّثاء يدعو إلى التَّفكير في الحياة والموت والزَّمان، وتذكُّر الماضين الذَّاهبين، والشَّاعر في هذا يسجِّل تجاربه وخبراته في حِكَمٍ))[68]، وهذا دليل على مدى النُّضج العقليِّ الَّذي وصلت إليه العرب في جاهليَّتها، فيلوّن الشَّاعر أبياته بالحزن والأسى، من شوقه الَّذي يعذِّبه نحو أبنائه، ثمَّ يتجرَّع كأس الحكمة، يقول أبو ذُؤَيبٍ الهُذَليُّ : (الكامل)

أَمِـــنَ المَنُـــونِ وَرَيْبِهَـــا تَتَوَجَّـــعُ وَالـــدَّهْرُ لَـــيسَ بِمُعْتِـــبٍ مَـــن يَجْـــزَعُ

قَالَـــتْ أُمَيْمَـــةُ مَـــا لِجِسْـــمِكَ شَـــاحِبًا مُنْـــذُ ابْتُـــذِلْتَ وَمِثْـــلُ مَالِـــكَ يَنْفَـــعُ

أَمْ مَـــا لِجَنْبِـــكَ لَا يُلَائِـــمُ مَضْـــجَعًا إِلاَّ أَقَـــضَّ عَلَيـــكَ ذَاكَ المَضْـــجَعُ

فَأَجَبْتُهَـــا أَمَّـــا لِجِسْـــمِي أَنَّـــهُ أَوْدَى بَنِـــيَّ مِـــنَ الـــبِلَادِ فَوَدَّعُـــوا

أَوْدَى بَنِـــيَّ وَأَعْقَبُـــونِي غُصَّـــةً بَعْـــدَ الرُّقَـــادِ وَعَبْـــرَةً لَا تُقْلِـــعُ

سَـــبَقُوا هَـــوَيَّ وَأَعْنَقُـــوا لِهَـــوَاهُمُ فَتُخُرِّمُـــوا وَلِكُـــلِّ جَنْـــبٍ مَصْـــرَعُ

فَغَبَـــرْتُ بَعْـــدَهُمُ بِعَـــيْشٍ نَاصِـــبٍ وَأَخَـــالُ أَنِّـــي لَاحِـــقٌ مُسْـــتَتْبَعُ

وَلَقَدْ حَرَصْتُ بِأَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمُ فَإِذَا المَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
فَالعَيْنُ بَعْدَهُمُ كَأَنَّ حِدَاقَهَا سُمِلَتْ بِشَوْكٍ فَهْيَ عُورٌ تَدْمَعُ
حَتَّى كَأَنِّي لِلحَوَادِثِ مَرْوَةٌ بِصَفَا المُشَرَّقِ كُلَّ يَومٍ تُقْرَعُ
وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعْضَعُ
وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ
وَلَئِنْ بِهِمْ فَجَعَ الزَّمَانُ وَرَيْبُهُ إِنِّي بِأَهْلِ مَوَدَّتِي لَمُفَجَّعُ
كَمْ مِن جَمِيعِ الشَّمْلِ مُلْتَئِمِ القُوَى كَانُوا بِعَيْشٍ قَبْلَنَا فَتَصَدَّعُوا[69]

يدور الحوار بين الشَّاعر ومن يسأل عن سبب تعبه وهزاله، لـ((تسلية النَّفس وتخفيف هول المصائب، وإضفاء البعد الواقعيّ على الحدث، فالموت مصير مُحْدِق بالبشر، وأمَّا الدَّهر فلا يبقي على حدثانه أمد))[70]، لتتوالى الحكمة في أقواله، فهو المتوجّع من صروف الدَّهر، وعلى الرَّغم من ذلك فإنَّ الدَّهر لا يجزع له، وهي إشارة إلى قسوة الدَّهر، وعدم ازعاجه لأيّ حادثة تحدث في الحياة، فهو الَّذي يجافيه النَّوم ولا يألفه المضجع، إثر توديع أولاده الَّذين دُفنوا فأعقبوه غُصَّة في القلب، وحرموه من كلّ لذة في الحياة، فأصبح في عيش كدر بعد ما أخذتهم المنيَّة، فكانت الحكمة في قوَّة المنيَّة وقدرتها على الأخذ، ولا تستطيع ألف تميمة أن تقف أمامها، وما حدث له من حزن وبكاء، إلاَّ أنَّه أتى بالحكمة الثَّانية في ترغيب النَّفس وترويضها، لأنَّ النَّفس تشتهي كلَّ شيء في الحياة، لكنَّها إن رُدَّت إلى القليل قَنَعت به، وأنَّ الموت حتميَّة مؤكَّدة على البشر كافَّة .

وقال المَخَبَّلُ السَّعدِيُّ : (الكامل)

وَتَقُولُ عَاذِلَتِي وَلَيسَ لَهَا بِغَدٍ وَلَا مَا بَعْدَهُ عِلْمُ
إِنَّ الثَّرَاءَ هُوَ الخُلُودُ وَإِنْ نَ المَرْءَ يُكْرِبُ يَوْمَهُ العُدْمُ
إِنِّي وَجَدِّكِ مَا تُخَلِّدُنِي مِئَةٌ يَطِيرُ عِفَاؤُهَا أُدَمُ
وَلَئِن بَنَيْتِ لِيَ المُشَقَّرَ فِي هَضْبٍ تُقَصِّرُ دُونَهُ العُصْمُ
لَتُنَقِّبَنْ عَنِّي المَنِيَّةُ إِنْ نَ اللهَ لَيسَ كَحُكْمِهِ حُكْمُ
إِنِّي وَجَدْتُ الأَمْرَ أَرْشَدُهُ تَقْوَى الإِلَهِ وَشَرُّهُ الإِثْمُ[71]

يُخبر الشَّاعر صاحبته، ويطلق عليها لقب (عَاذِلَتِي)، بأنَّه كريمٌ ينفق ماله في الكرم، وهذه إحدى الخصال الَّتي تميَّز بها، والبذل والعطاء صفتان خالدتان يجب أن يتميَّز بهما كلُّ امرئ، لأنَّ الخلود

يكمن في الإنفاق وليس الثَّراء، فالمنيَّة غاية كلِّ حَيٍّ، والعمل المستقيم صفة خالدة تَميَّز بها البشرُ فيما بينهم، فأظهر الشَّاعر هذه القيمة الجماليَّة ردًّا على صاحبته الَّتي أَلقَتِ اللوم عليه بأنَّه ينفق المال في غير محلِّه .

الكرم والضِّيافة :

الكرم صفة لازمة للعربيّ يتغنَّى بأمجادها ويجعلها السَّبيل لصلاح النَّفس، يقول عَمْرُو بْنُ الأَهْتَمِ السَّعدِيُّ : (الطَّويل)

وَكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقِي الذَّمَّ بِالقِرَى وَلِلخَيْرِ بَينَ الصَّالِحِينَ طَرِيقُ

لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلاَدٌ بِأَهْلِهَا وَلَكِنَّ أَخْلاَقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ[72]

تتطلَّب الحكمة من كلِّ كريم أن يتَّقي الذَّمَّ بالقِرَى، وهو في ذلك يسلك طريق الصَّالحين، وأمامنا صورة بلاغيَّة مجازيَّة تشبيهيَّة مقارنة بين ضيق الأرض وضيق أمزجة الرِّجال، فمهما كثرت الأنفس فالأرض لا تشكو الضِّيق، إنَّما الشَّكوى شكوى صدور الرِّجال، فهي الَّتي مزاجها يضيق ويتعكَّر صفوه، فالضِّيق في أخلاق النَّاس حينما يسود سيِّئها لا بضيق المكان .

الموت وعدم الاغترار بالدُّنيا:

الموت مصير كلِّ إنسان فلابدَّ من الاتِّعاظ من النِّهاية وعدم الانجرار وراء مباهج الدُّنيا واغراءاتها، يقول مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيرَةَ اليَربُوعِيُّ : (الطَّويل)

فَلَا تَفْرَحَنْ يَومًا بِنَفْسِكَ إِنَّنِي أَرِى المَوتَ وَقَّاعًا عَلَى مَنْ تَشَجَّعَا

لَعَلَّكَ يَومًا أَن تُلِمَّ مُلِمَّةً عَلَيكَ مِنَ اللَائِي يَدَعْنَكَ أَجْدَعَا[73]

إنَّ الأيَّام دُوَلٌ، ولا بدَّ أنَّها ستدور عليه كما دارت على غيره، ويطلب الشَّاعر عدم الاغترار بالنَّفس، لأنَّها هالكة لا محالة، ولسوف يخطفها الموت الَّذي لا يُبقي على شجاع ولا يأبه لأيِّ شخص مهما كانت منزلته .

حفظ الكرامة والمجد من ضرورات الحياة :

يسعى الإنسان في دورة حياته إلى حفظ الكرامة والحرص على المجد الَّذي يرتقي بهما إلى درجة سامية في مجتمعه، فلا يقتصر حفظ الكرامة والمجد عليه نفسه بل يتعدَّاه إلى أجياله من بعده، وكثيرًا ما نجد العرب قبل الإسلام وبعده يفتخرون بالكرامة والمجد اللذين بناهما آباؤهم وأجداهم .

لقي هذا الأمر عناية كبيرة وملحوظة في الشِّعر، من ذلك قول عَمْرِو بْنِ الأَهْتَمِ السَّعْدِيِّ : (الوافر)

لَقَــدْ أَوْصَــيْتُ رِبْعِــيَّ بْــنَ عَمْــرٍو ... إِذَا حَزَبَــــتْ عَشِــــيرَتَكَ الأُمُـــــورُ
بِــأَن لاَ تُفْسِــدَنْ مَــا قَــد سَــعَيْنَا ... وَحِفْــــظُ السُّــــورَةِ العُلْيَــــا كَبِيــــرُ
وَإِنَّ المَجْــــدَ أَوَّلُــــهُ وُعُــــورٌ ... وَمَصْــــدَرُ غِبِّــــهِ كَــــرَمٌ وَخِيــــرُ
وَإِنَّــكَ لَــن تَنَــالَ المَجْــدَ حَتَّــى ... تَجُــودَ بِمَــا يَضَــنُّ بِــهِ الضَّــمِيرُ
بِنَفْسِــكَ أَو بِمَالِــكَ فِــي أُمُــورٍ ... يَهَــابُ رُكُوبَهَــا الــوَرِعُ الــدَّثُورُ
وَجَــارِي لَا تُهِينَنْــهُ وَضَــيْفِي ... إِذَا أَمْسَــى وَرَاءَ البَيْــتِ كُــورُ
يَــؤُوبُ إِلَيــكَ أَشْــعَثَ جَرَّفَتْــهُ ... عَــوَانٌ لَا يُنَهْنِهُهَــا الفُتُــورُ
أَصِــبْهُ بِالكَرَامَــةِ وَاحْتَفِظْــهُ ... عَلَيــكَ فَــإِنَّ مَنْطِقَــهُ يَسِــيرُ
وَإِنَّ مِــنَ الصَّــدِيقِ عَلَيــكَ ضِــغْنًا ... بَــدَا لِــي إِنَّنِــي رَجُــلٌ بَصِــيرُ
بِــأَدْوَاءِ الرِّجَــالِ إِذَا الْتَقَيْنَــا ... وَمَــا تُخْفِــي مِــنَ الحَسَــكِ الصُّــدُورُ[74]

يعدُّ الشَّاعر المجتمع الصَّغير الَّذي يهدف إلى إيقاظ الأرواح الخامدة، وتوجيه القلوب إلى الأخذ بالحقيقة واختيار الطَّريق القويم، ليعيش حياة تمنحه الرَّخاء والانبعاث، ويدعو إلى حبِّ الحياة وحفظ النَّوع، وما يقتضيه من نشاط واعٍ وسموٍّ في المطالب الجسديَّة، وإيمانًا بالمنظومة الأخلاقيَّة الَّتي جعلَتِ الشُّعراء يحنُّون وتضجُّ صدورهم بالفرحة، وتلتهب أرواحهم بين أنين الثَّكالى على أمل خائب، وامتزاج سيوفهم بصليل السُّيوف وهدير الجيوش وحمحمات الخيل .

يتحدَّث الشَّاعر عن المجد وعاقبته الكرم، فأوَّل المجد صعب، ومصدره كرم وخير، ولا تنال المجد إلاَّ بعد أن تجود بما تبخل من ضمير، ويتمثَّل الضَّمير هنا قول الحقِّ، فالحكمة تقتضي في قول الحق لأنَّه أوَّل سلَّم للوصول إلى المجد، ولن ينال هذا المجد إلَّا بالكرم، والسَّعي الدَّائب وراءه، لكي ينال الإنسان كرامته فعليه بمصاحبة كرام النَّاس، ومجاهدتهم حتَّى يصل الإنسان إلى قول الحق، وعدم الخوف منهم.

وللشَّاعر نزعة قبليَّة واضحة في إحياء أمجاد آبائه وأجداده الَّذين تميَّزوا بالكرم والشَّجاعة، وصار يفخر بنفسه وأجداده بغلبته على أعدائه، فضلاً عن الاعتزاز بنفسه حين يذكر أنَّه ليس لديه حاجة إلى النَّاس بقدر حاجته إلى الكرم والشَّجاعة والإباء، فيوصي ابنه بمكارم الأخلاق والتَّحلِّي بها، لأنَّها صفة ملازمة للأجداد يجب أن يتوارثها الأبناء، فيحفظون مجد آبائهم وأجدادهم ألَا وهي الخلق الكريم والشَّجاعة ونبذ البغض والعداوة .

وتتحوَّل الحكمة إلى النُّصح والإرشاد حين يصوغها الشَّاعر بأبيات تجري على لسانه عند بعض المواقف، يقول أبو الإصْبَعِ العَدْوَانِيُّ (البسيط)

قَـدْ كُنْـتُ أُوتِـيكُمُ نُصْـحِي وأَمْـنَحُكُمْ وُدِّي عَلَـى مُثْبَـتٍ فِـي الصَّـدْرِ مَكنُـونِ
لَا يُخـرِجُ الكَـرْهُ مِنِّـي غَيـرَ مَأْبِيَّـةٍ وَلَا أَلِـينُ لِمَـن لَا يَبْتَغِـي لِينِـي[75]

تتضمَّن الحكمة في كَظْمِ الشَّاعر غَيظَه، فيؤتي نصحه لمن يطلب هذا النُّصح ولا يكتمه لأَخٍ، ولا يخرج الكَره إلَّا لمن كان كارهه، مؤكِّدًا على مودَّته ونصحه ولينه لمن حوله وابتعاده عن الكره .

طاعة الله ﷻ والوالدين وحفظ المعروف :

تحظى طاعةُ الله والوالدين وحفظ المعروف بمنزلة كبيرة في نفس العربيّ قديمًا وحديثًا، فأخذَتْ منه ومن كلامه الحكيم نصيبًا كبيرًا، فتمثَّلت هذه المنزلة بما ورد فيها التَّنزيل الحكيم وأحاديث الرَّسول الكريم محمَّد ﷺ الَّتي لم تَخْفَ على أحد، لشهرتها .

تعدُّ هذه القيمة من القيم الجماليَّة الَّتي أكَّد عليها القول الحِكمي لعدد من شعراء المفضَّليَّات، يقول عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ : (الكامل)

أُوصِـيكُمُ بِتُقَـى الإِلَـهِ فَإِنَّـهُ يُعْطِـي الرَّغَائِـبَ مَـن يَشَـاءُ وَيَمْنَـعُ
وَبِبِـرِّ وَالِـدِكُمْ وَطَاعَـةِ أَمْـرِهِ إِنَّ الأَبَـرَّ مِـنَ البَنِـينَ الأَطْـوَعُ
إِنَّ الكَبِيـرَ إِذَا عَصَـاهُ أَهْلُـهُ ضَـاقَتْ يَـدَاهُ بِـأَمْرِهِ مَـا يَصْـنَعُ
وَدَعُـوا الضَّـغِينَةَ لَا تَكُـنْ مِـن شَـأْنِكُمْ إِنَّ الضَّـغَائِنَ لِلقَرَابَـةِ تُوضَـعُ
وَاعْصُـوا الَّـذِي يُزْجِـي النَّمَـائِمَ بَيـنَكُمْ مُتَنَصِّـحًا ذَاكَ السِّـمَامُ المُنْقَـعُ[76]

واقتضى قول الشَّاعر الحكمي في تقوى الإله، لأنَّه من يُعطي ومن يمنع، وببرِّ الوالدَين، والأَبرُّ من الأولاد هو الأَلين والأطوع لوالديه، لأنَّ الكبير إذا عصاه أهله وبنيه ضاقت عليه الأمور، ويدعو الشَّاعر إلى البعد عن الضَّغينة، لأنَّ الضَّغينة بين الأقارب من شأنها تهديم العلاقات الأسريَّة بين الأقارب، وعصيان من يريد الوقيعة بين النَّاس بانتشار النَّميمة .

وفي طاعة الله ﷻ وإكرام الضَّيف والإيفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنَّهي عن الإساءة والمنكر، يقول عَبدُ قَيسِ بْنُ خُفَافٍ البُرجُمِيُّ : (الكامل)

أَجُبَيْـلُ إِنَّ أَبَـاكَ كَـارِبُ يَومِـهِ فَـإِذَا دُعِيـتَ إِلَـى العَظَـائِمِ فَاعْجَـلِ
أُوصِـيكَ إِيصَـاءَ امْـرِئٍ لَـكَ نَاصِـحٍ طَـبِنٍ بِرَيْـبِ الـدَّهْرِ غَيـرِ مُغَفَّـلِ
اللهَ فَاتَّقِـهِ وَأَوْفِ بِنَـذْرِهِ وَإِذَا حَلَفْـتَ مُمَارِيًـا فَتَحَلَّـلِ

وَالضَّـــيْفَ أَكْرِمْـــهُ فَـــإِنَّ مَبِيتَـــهُ حَـــقٌّ وَلاَ تَـــكُ لُعْنَـــةً لِلنُّـــزَّلِ

وَاعْلَـــمْ بِـــأَنَّ الضَّـــيفَ مُخْبِـــرُ أَهْلِـــهِ بِمَبِيـــتِ لَيلَتِـــهِ وَإِنْ لَـــمْ يُسْـــأَلِ

وَدَعِ القَـــوَارِصَ لِلصَّـــدِيقِ وَغَيـــرِهِ كَـــيْ لاَ يَـــرَوْكَ مِـــنَ اللِّئَـــامِ العُـــزَّلِ

وَصِـــلِ المُوَاصِـــلَ مَـــا صَـــفَا لَـــكَ وُدُّهُ وَاحْـــذَرْ حِبَـــالَ الخَـــائِنِ المُتَبَـــذِّلِ

وَاتْـــرُكْ مَحَـــلَّ السَّـــوْءِ لَا تَحْلُـــلْ بِـــهِ وَإِذَا نَبَـــا بِـــكَ مَنْـــزِلٌ فَتَحَـــوَّلِ

دَارُ الهَـــوَانِ لِمَـــن رَآهَـــا دَارَهُ أَفَرَاحِـــلٌ عَنْهَـــا كَمَـــنْ لَـــمْ يَرْحَـــلِ

وَإِذَا هَمَمْـــتَ بِـــأَمْرِ شَـــرٍّ فَاتَّئِـــدْ وَإِذَا هَمَمْـــتَ بِـــأَمْرِ خَيـــرٍ فَافْعَـــلِ

وَإِذَا أَتَتْـــكَ مِـــنَ العَـــدُوِّ قَـــوارِصٌ فَـــاقْرُصْ كَـــذَاكَ وَلَا تَقُـــلْ لَـــمْ أَفْعَـــلِ

وَإِذَا افْتَقَـــرْتَ فَـــلاَ تَكُـــنْ مُتَخَشِّـــعًا تَرْجُـــو الفَوَاضِـــلَ عِنـــدَ غَيـــرِ المُفْضِـــلِ

وَاسْـــتَغْنِ مَـــا أَغْنَـــاكَ رَبُّـــكَ بِـــالغِنَى وَإِذَا تُصِـــبْكَ خَصَاصَـــةٌ فَتَجَمَّـــلِ

وَاسْـــتَأْنِ حِلْمَـــكَ فِـــي أُمُـــورِكَ كُلِّهَـــا وَإِذَا عَزَمْـــتَ عَلَـــى الهَـــوَى فَتَوَكَّـــلِ

وَإِذَا تَشَـــاجَرَ فِـــي فُـــؤَادِكَ مَـــرَّةً أَمْـــرَانِ فَاعْمِـــدْ لِلأَعَـــفِّ الأَجْمَـــلِ

وَإِذَا لَقِيـــتَ البَاهِشِـــينَ إِلَـــى النَّـــدَى غُبْـــرًا أَكُفُّهُـــمُ بِقَـــاعٍ مُمْحِـــلِ

فَـــأَعِنْهُمُ وَايْسِـــرْ بِمَـــا يَسَـــرُوا بِـــهِ وَإِذَا هُـــمُ نَزَلُـــوا بِضَـــنْكٍ فَـــانْزِلِ[77]

بدأ الشَّاعر بحكمة التَّقوى والوفاء بالنَّذر، والوفاء بالعهود، وعدم التَّحلُّل من وعوده، وإلى الضَّيف وإكرامه، ووجوب مبيته، لأنَّ نزوله في مكان ما لابدَّ من استضافته وعدم تركه وحيدًا، كي لا تحلَّ عليك لعنة الإنزال، وعدم التَّلمُّز على الصَّديق، لأن لا يكون مصدرًا للعزال وحديثهم، ووصل المواصل بالودِّ، وأن يحاذر الخائن المتبدِّل بين أحوال متعدِّدة، وترك محلِّ السُّوء، ومغادرة كلِّ ما يسؤوه، وعدم فعل أمور الشَّرِّ، والهمّ بفعل الخيرات، والاستغناء بالرَّبِّ العليِّ عند الافتقار بالمال، واللجوء إلى الحلم دومًا .

وهذه السِّياسة الَّتي استعملها الشَّاعر مع ابنه (جُبَيلٍ) وهي الأدب الرَّفيع والخلق السَّامي الَّذي يجب على الأبناء التَّحلِّي به، وحرص هؤلاء الآباء على انتقال هذه الجذور الخالدة من سالف العهد إلى العهد الجديد، وهذه السِّياسة سجل حافل بالأمجاد والسُّموِّ، وهذا هو خلف العربي الَّذي يتحلَّى به في تلك العصور السَّالفة إلى يومنا هذا، ويبيّن الشَّاعر بعض الصِّفات الَّتي يجب أن تكون صفة مميّزة لأبنائه، وهي الكرم، أي : إكرام الضَّيف والنُّصح بالخير والتَّقوى والصُّحبة الصَّالحة ونبذ الضَّغائن وسوء الخلق، لأنَّه ليس من عادات العرب، فأغلب أبيات القصيدة تكاد تكون حكمة عربيَّة يجب أن يقتفي أثرها كلُّ عربي شريف، يقول : من أقام في دار الهوان فهي داره، وليس من لم يقم فيها وأَنِف كمن احتمل الضَّيم وأقام، يريد: حتَّى يتَّقوك ويتحاموك كما يتحامون الأجرب وطلاءه .

الخاتمة ونتائج البحث

وفي نهاية التَّجوال في شعر المفضَّليَّات لا بدَّ من وقفة ختاميَّة نسجِّل فيها النَّتائج الَّتي توصَّلنا إليها، وهي :

- ظهر أنَّ الجمال من المصطلحات الَّتي تعدَّدت تعريفاته وتدور أغلبها على التَّناسب والتَّناسق، والحسن مرتبط بالذَّوق والإحساس بالمتعة والمنفعة، ومن هنا كان اختلافه بين الأشخاص، فأسهم الجمال في تشكيل قدرة جماليَّة تزيد فاعليَّة النُّصوص الفنِّيَّة التَّأثيريَّة والتَّعبيريَّة.
- كشفت المفضَّليَّات أنَّ الشِّعر العربيَّ في كثير من نصوصه يعبِّرُ عن ثقافة العرب وحضارتهم ونمط معيشتهم وتقاليدهم العربية، ومثلهم الخُلُقيَّة الأصيلة، وأبرزَتْ جماليات استعمال القيم الجماليَّة في التَّعبير عن المعنى بشكل غير مباشر .
- أكَّد شعراء المفضَّليَّات في أفعالهم البطوليَّة والحربيَّة على القيم الجمالية المهمَّة، ومن أهمِّها نبذ الحرب وعدم الانجرار وراءها فيما رسموه من صور تجسِّد بشاعتها وما تخلفه من دمار وخراب وهلاك .
- كشف البحث أنَّ قيم القوَّة والشَّجاعة قيم للفعل البطوليّ، وهي واضحة وملموسة في ميادين القتال والحرب، فحرص الشُّعراء على إبرازها .
- أظهر البحث جماليَّة القول الحكمي بما أُودِع فيه من أمور وتجارب حياتيَّة بالعبارات الموجزة مكثفة المعنى، كشفت عن قيم جميلة كالكرم والشَّجاعة والتَّضحية بالموت، وحتميَّة نهاية الإنسان، وطباع النِّساء والابتعاد عن البخل والجبن وغيرها من رذائل الصِّفات .
- كانت العفَّة وعدم الغدر بالحليف والعزَّة والكبرياء والكرامة، والاقتحام وحماية الذِّمار، والاعتداد بالكثرة مفتاح القوَّة والسَّيطرة وتحقيق النَّصر، والفخر بأنواع الأسلحة وقوَّتها الضَّاربة، والتَّغنِّي بأمجاد الآباء والأجداد وأصولهم العربيَّة الأصيلة هي أبرز صور الفعل البطوليّ وجماليَّته الَّتي شكَّلت قيم العرب ورؤيتهم الخاصَّة للشَّجاعة والبطولة .
- شكَّل التَّصوير اللونيُّ جزءًا مهمًّا من رؤيتهم الفكريَّة والفلسفيَّة في المفضَّليَّات، بما تمتلكه الألوان من طاقَّات تعبيريَّة وإيحاءات دلاليَّة، لها أثرها الكبير والفاعل في إبراز الكثير من القيم الجماليَّة الحسِّيَّة أو المعنويَّة .

❖ كانت وسائل تشكيل الصُّورة الشِّعريَّة من تشبيه واستعارة وكناية أثرها الفاعل في إيضاح جمالية رؤيتهم الفكرية والفلسفية وإبرازها، وكشفت عن مقدرتهم الفنِّيَّة وإجادتهم الشِّعريَّة في توظيفها واستثمارها، بما يحقِّق إيصال رسائلهم الشِّعريَّة المؤثِّرة والمبدعة .

المراجع

هوامش البحث وقائمة المصادر والمراجع

([1]) تهذيب اللغة 359/9 ـ 361 مادة (قوم)، ولسان العرب 12 / 500 مادة (قوم) .

([2]) مقاييس اللغة مادة (قوم) .

([3]) ينظر: مفهوم القيمة، بقلم : عادة الحلايقة، (مقال) .

([4]) ينظر: ما معنى القيمة، بقلم : ساجدة أبو صوي، (مقال) .

([5]) ينظر: القيم الجمالية عند شعراء البحرين في العصر الجاهلي 1 .

([6]) ينظر : العين 142/6 مادة (جمل)، وتهذيب اللغة 110/11 مادة (جمل) .

([7]) لسان العرب 11 / 126 مادة (جمل)، وينظر : المحكم والمحيط الأعظم 7 / 450 مادة (جمل) .

([8]) مسند الإمام أحمد 6 / 338 .)

([9]) ينظر: معجم المصطلحات الفلسفية 55، وجمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم 40 .

([10]) معجم المصطلحات الأدبية 92 .

([11]) ينظر: فلسفة الجمال في النقد الأدبي 18 .

([12]) مبادئ علم الجمال 19.

([13]) مفهوم القيمة بين الجمال والجميل والجمالية 229.

([14]) ينظر: معجم المعاني الجامع 37 ـ 40.

([15]) علم الجمال عند أبي حيان التوحيدي 72.

([16]) ينظر: القيم الجمالية عند شعراء البحرين في العصر الجاهلي 17.

([17]) ينظر: مبادئ علم الجمال 18.

([18]) الأسلوب والأدب والقيمة 80.

([19]) القيم الأخلاقية 30.

([20]) ينظر: البطولة في الشعر العربي، شوقي ضيف 13.

([21]) ينظر: القيم الجمالية عند شعراء البحرين 23.

([22]) ينظر: المصدر نفسه 221.

([23]) البطولة في الشعر العربي، شوقي ضيف 14-15.

([24]) ينظر: علم الجمال 92.

([25]) ينظر: الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص 30 .

([26]) البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام، اليوزبكي 36.

(27) البطولة النفسية والشمائل الإنسانية في الشعر الجاهلي 124 .

(28) المفضليات 45، (أمرع القوم) : أصابوا الكلأ فأخصبوا .

([29]) ينظر: البكور والعوالم الثلاثة 370-371.

([30]) المصدر نفسه 372.

(31) المفضليات 427، (الأسفع) : الأسود، و(الخوصاء) : الغائرة العينين، و(قصر) : حبس، و(الصبوح) : شرب الغداة، و(الشرج) : الخلط .

(32) ينظر : المخصص 2 / 106، ولسان العرب 8 / 156 مادة (سفع) .

([33]) البطولة النفسية والشمائل الإنسانية في الشعر الجاهلي 129 .

([34]) المفضليات 314 .

([35]) المفضليات 317، (أشهبا) : الصعب، و(بالجو) : موضع، و(عرَّاص) : الشديد الاضطراب، و(لا غرو) : العجب، و(حارد) : القاصد .

([36]) المفضليات 320، (يتهضم) : يتنقص، و(القعساء) : الثَّابتة، و(الخطم) : الأنف، و(يطدون) : يشدون ويثبتون، و(العي) : قصر عنها، و(الجبس) : الثَّقيل المنقطع، و(الأقتم) : الغبار.

([37]) المفضليات 69، (عرَّد الناب) : اشتد وانتصب.

([38]) المفضليات 95، (معزال اليدين) : الإعزال من السلاح، و(الكبش) : البطل أو السيّد، و(النَّاهل) : الريّان.

([39]) المفضليات 326، و(يحرز) : يحفظ ويصون، و(نماني) : رفعني، و(زناد) : الَّذي يقدح النَّار .

([40]) المفضليات 328، (الحفاظ) : الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب، و(الغمر) : الَّذي لم يجرب الأمور، و(الاجتداء) : السؤال، أراد أنه يجود حين يسألونه، و(الإصر) : العهد، و(الخشوع) : الذل، و(أزهى) : أتكبر، و(مردى حروب)، أي : نقوم بها، وأصل (المردى) : الحجر يرمى به، و(نسيل) : يصف كثرتهم.

([41]) ينظر: التشكيل اللوني في شعر الفرسان 19 ـ 20 .

([42]) المفضليات 100، و(المعن) : المعترض في الخصومة والمناظرة، و(الجراء) : الجري، و(النَّابل) : الحاذق في أموره، و(زمل) : عدا وأسرع معتمدًا على رجل واحدة، و(الزَّامل) من الدَّواب : الَّذي كأنَّه يظلع في سيره من نشاطه .

([43]) المفضليات 206 ـ 207، و(الكَبْشُ)، وَاحِدُ : (الكِباشِ والأَكْبُش)، و(الكَبْشُ) : فَحْلُ الضأْن فِي أَي سِنّ كَانَ، و(كَبْشُ القومِ) : رئيسُهم وسيّدُهم، وَقِيلَ : كَبْش القومِ حامِيتُهم، و(قبب): قَبَّ القومُ يَقِبُّون قَبًّا : صَخِبُوا فِي خُصومة أَو تَمَارٍ، و(قَبَّ الأَسَدُ والفَحْلُ يَقِبُّ قَبًّا وقَبِيبًا) إِذا سَمِعْتَ قَعْقَعةَ أَنْيابه، و(الشَّوَازِبُ): الضَّوامر .

([44]) ينظر: المفضليات 207، الهامش .

([45]) ينظر: التشكيل اللوني في شعر الفرسان 182.

([46]) المفضليات 234 ـ 235 .

([47]) ينظر: التشكيل اللوني في شعر الفرسان 190.

([48]) المفضليات 282، و(البيضاء) : الدِّرع، و(النِّهي)، بكسر النُّون وفتحها: الغدير، والعرب تشبّه السيف ومدرع بماء الغدير، و(الشَّآبيب)، جمع : (شؤبوب)، وهو : الدفعة من المطر، و(يحفش) : يقشر، و(الأكم)، جمع : (أكمة)، و(صائف) : في الصيف، و(المطرد) : الرمح، و(يمضي)، أي : في المطعون، و(لا ينآد) : لا يرجع ولا ينعطف، و(الصفراء) : القوس، و(النبع) : شجر تتخذ منه القسي والسهام، و(القصال) : القطاع، يعني : سيفًا، و(الضريبة) : المضروبة، (فَعِيل) بمعنى : (مَفعُول)، و(الجائف) : الَّذي يبلغ الجوف، و(العتاد) : العدة، و(العوان) : الَّتي قوتل فيها مرة، و(الطوائف) : النواحي، و(جانف) : مائل، يعني : أن الموت لا يدعه.

([49]) المفضليات 284، (الخنا) : الكلام الردئ، و(توسمته) : تثبَّتُّ معرفته، و(التَّوسُّم) : التثبت في معرفة الشيء، و(الغول) : ما اغتال الأشياء فذهب بها، و(الجعجاع) : المحبس في المكان الغليظ أو الضيق، و(حصته) : أذهبت شعره ونثرته لطول مكثها

على رأسه، و(الموضونة) : الدرع الفضفاضة الواسعة، و(الغدير) : القاع والمنبسط من الأرض، ويكون فيه الشراب شبه صفاء الدرع بصفاء الماء الَّذي في النهي.

(50) المفضليات 285، (الإدهان) : من المداهنة، وهو مثل النفاق والمخادعة، و(الفكة) : الضعف، و(الهاع) : شدة الحرص و(قُطَيّ)، تصغير (قطا)، و(المستنة) : الكتيبة، وأصل (الاستنان) : النشاط، و(عرانينهم) : رؤساؤهم ومتقدموهم في الفضل والشجاعة، و(ينهتن) : يزأرن، و(الغِيل)، بالكسر: الأجمة، و(الأجزاع)، جمع : (جزع)، وهو الجانب، و(الغاية) : الراية، و(الجماع) : الأخلاط من قبائل شتى، و(قلصت)، يعني : الخصي، ويزعمون أنَّ الجبان ساعة يفزع تقلص خصيتاه. وأراد بالخيل فرسانها.

(51) المفضليات 348، (المتخيم) : الموضع الَّذي جنحوا فيه، و(صلقن) : ضربن، و(تعاوره) : تداوله، و(حسواتها) : وهو القليل مما يُشرب من الماء.

(52) المفضليات 355، (تليد) : القديم، و(الأرومة) : الأصل.

(53) المفضليات 361، (المزنوق) : اسم فرس، و(المنيح) : قدح تكثر به القداح.

(54) المفضليات 364، (تيماء، وأثمد) : موضعان معروفان في بلاد الحجاز.

(55) المفضليات 373، (شكتي) : السلاح، و(جرداء) : قصيرة، و(القذال) : مؤخرة الرأس، و(خوصاء) : الغائرة .

(56) ينظر: التشكيل اللوني في شعر الفرسان 259.

(57) المفضليات 382.

(58) المفضليات 405، (دار الحفاظ) : الَّتي يقيمون فيها صبرا عليها لعزهم، و(أربط أحلامًا)، أي : أثبت، يريد : أنهم لا يجهلون، و(إذا البقل أجهلا)، أي : حمل الناس على أن يجهلوا، وذلك إذا كان الربيع وأمكنت المياه والبقل، تذكروا الذّحول وطلبوا الأوتار، و(القرم) : الفحل، أراد : السيد المعظم، و(الفروع) : الأعالي، و(السرب) : المال، و(دهم) : فاجأ وأتى غفلة، و(الورد) : الإبل الواردة.

(59) ديوانه 172 .

(60) مقاييس اللغة 1 / 311، مادة (حكم) .

(61) ينظر: شعر الحكمة عند العرب، (مقال) .

(62) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه 287 .

(63) ينظر: المصدر نفسه 287.

(64) المفضليات 401، (الجَلَمُ) : الآلة الَّتي يُجزُّ بها الشعر والصوف، و(الجَلَمتان) : شفرتاه، و(الجَلْمُ) : مَصْدَرُ (جَلَمَ الجَزُور يَجْلِمُها جَلْمًا، واجْتَلَمها)، إذا أَخذ مَا عَلَى عِظَامِهَا مِنَ اللَحْمِ .

(65) المفضليات 294، (الراتع) : الآكل بشره، و(الضرم) : الشديد النهم، و(يكشر) : يضحك، و(تعزيت) : تعريت.

(66) المفضليات 392، و(شرخ الشباب) : أوله.

(67) ينظر: التشكيل اللوني في شعر الفرسان قبل الإسلام 154.

(68) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه 289 .

(69) المفضليات 421 ـ 422 .

(70) الحوار، علي الخزرجي 203.

(71) المفضليات 118، و(العاذلة) : اللائمة من اللوم، ولعلها صاحبته، و(يكرب) : يُدني، و(يطير عفاؤها) : يذهب وبرها من السمن، و(الأدم) : الإبل الخالصة البياض، و(المشقر) : حصن في البحرين، و(الأعصم) : الهضبة العالية الَّتي لا ترقاها الوعول .

([72]) المفضليات 127.

([73]) المفضليات 270.

([74]) المفضليات 409 ـ 410، (حزبت) : دهمت، و(السورة) : المجد، و(الورع) : المتحرج، و(أشعث) : اليابس، و(الحسك) : الحقد والعداوة.

([75]) المفضليات 161.

([76]) المفضليات 146 .

([77]) المفضليات 384 ـ 385، (جبيل) : ابنه، و(كارب) : قرب ودنا، بوزن اسم الفاعل، و(الطبن) : الحاذق الفطن، و(ماريًا) : مجادلًا، و(لغنة)، بسكون العين : يلعنه النَّاس كثيرًا، و(القوارص) : الكلام القبيح، و(العزل)، جمع : (عازل)، قد اعتزل الناس، و(نبا به منزله) : لم يوافقه، و(الخصاصة) : الفقر والحاجة، و(التجمل) : التجلد وتكلف الصبر، و(استأن) : من الأناة، و(الباهش) : الفرح.

قائمة المصادر والمراجع

1. الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، الدكتور حسين عبدالجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2003م .
2. الأسلوب والأدب والقيمة، يوسف سامي اليوسف، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة السورية، ط1، 2022م.
3. البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام، الدكتور مؤيد اليوزبكي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2008م .
4. البطولة في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2 (د.ت) .
5. البطولة النفسية والشمائل الإنسانية في الشعر الجاهلي، عبد الرحيم محمود زلط، مجلة دارة الملك عبد العزيز، العدد 13، 1984م .
6. البكور والعوالم الثلاثة، قراءة في عينية الحادرة، الدكتورة غادة جميل، مجلة كلية الآداب، العدد 48، 2018م.
7. التشكيل اللوني في شعر الفرسان قبل الإسلام، أنوار محمود مسعود الصالحي، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية (ابن رشد) بجامعة بغداد، 2014 م .
8. تهذيب اللغة، أبو منصور بن محمد بن أحمد الأزهري (370هـ)، حققه: عبدالسلام هارون وجماعته، دار الصادق للطباعة والنشر (د.ت) .
9. جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم، الدكتورة ابتسام مرهون الصفار، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، 2010م .
10. الحوار، علي الخزرجي، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد 2، العدد 1، يناير 2021م.
11. الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، الدكتور يحيى الجبوري، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد (د.ت) .
12. شعر الحكمة عند العرب، هبة خير الله، موقع سطور، 2020م .
13. ديوان طرفة بن العبد، شرح : أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري (476 هـ)، تحقيق : درية الخطيب، ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2 / 2000 م .
14. علم الجمال، الدكتور نايف بلوز، المطبعة التعاونية، دمشق، 1402 . 1403هـ، 1982 ـ1983 م .
15. علم الجمال عند أبي حيان التوحيدي، عفيف البهنسي، مطابع ثنيان، مديرية الثقافة العامة، بغداد .
16. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م .

17. فلسفة الجمال في النقد الأدبي، كريب رمضان، مصطفى ناصف انموذجًا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م .
18. القيم الأخلاقية، د. عادل العوا، جامعة دمشق، (د.ت) .
19. القيم الجمالية عند شعراء البحرين في العصر الجاهلي، زينب حسين أوراك، رسالة ماجستير، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، 2021م.
20. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (711 هـ)، دار صادر، بيروت.
21. ما معنى القيمة، بقلم: ساجدة أبو صوي، مقال منشور بتاريخ 2017 في موقع : Mawdoo3.com .
22. مبادئ علم الجمال (الاستطيقا)، شارل لالو، ترجمة : مصطفى ماهر، طبع بالهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، 2010م .
23. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده الأندلسي (458هـ)، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1421 هـ - 2000 م .
24. مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (241 هـ)، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م .
25. معجم المصطلحات الأدبية، نواف نصار، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 2010م .
26. معجم المصطلحات الفلسفية، خليل أحمد خليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1991م .
27. معجم المعاني الجامع، شادي رباح، وحسين دريدي، تحقيق : يحيى جبر، ووائل أبو صالح، نشر جامعة النجاح الوطنية، ط1، 2001م .
28. المفضليات، أبو العباس المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر الضبي (171 هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط 3، 1964م.
29. مفهوم القيمة بين الجمال والجميل والجمالية، مثنى محمد عبدالحسين، مجلة الأستاذ، ملحق العدد (226)، المجلد الأول، 2018م .
30. مفهوم القيمة، بقلم : عادة الحلايقة، مقال منشور بتاريخ 2016 في موقع: Mawdoo3.com .
31. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (395هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2008م.